قطع غيار إنسان

«رواية»

بقلم الكاتب الإسلامى

محمد عبد المنعم أبو نور الدين

طباعة وتوزيع دار المعارف

الآراء الواردة فى هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر
المؤلف ولا تعبر عن وجهة نظر الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

تخرج عبد الله قى كلية التجارة بتقدير مقبول.. مثله مثل آلاف الشباب فى مصر الذين تقذفهم ماكينة التعليم وتلقى بهم أكواما مكدسة على الأرصفة والمقاهى وأسرة النوم..

وبالفعل أصبح عبد الله يعمل فى مهنة سائق سرير...

فهو طوال النهار ينام على سريره ويتمرغ فيه ويقطعه طولا وعرضا متقلبا ذات اليمين وذات الشمال حتى تمام الساعة السادسة مساء ليستيقظ على صراخ أمه..

- قوم يا عبد الله، الله يخرب بيتك... يا واد فز قوم دور لك على شغل.
- حاضر حاضر.. بس هاتى لى أفطر.
- تفطر إيه الساعة ستة بالليل.. يا ابنى روح دور على شغل وهات لنا كلنا ناكل.

وينهض عبد الله وهو يتمتم بشتائم خفية يسب بها نفسه والظروف والأيام.. ويلعن التعليم والشهادة التى يعلقها على حائط غرفة نومه..

ثم ينزل عبد الله إلى الشارع ليرى هذه الأضواء التى تلألأ ليلا فى حى شبرا فوق المحلات والمقاهى وفاترينات الكبدة والسجق.. والضجيج والأصوات العالية..

ضحـــكات الأصحاب ونـــداء الباعـــة المتجولين علـــى الذرة المشـــوية والتين الشوكى.. وصراخ ســـائقى الميكروباص يجمعون الركاب..

سحب عبد الله نفسا عميقا من الهواء البارد وملأ به صدره حتى أحس بسعادة تغمره وتطرد من جسمه هواء غرفة نومه المختنقة.. مما أفاض بداخله شعورا مجدد بالأمل فى الحياة..

لمـــح عبد الله أصدقاءه يقفون عـى الناصية البعيدة وســـرعان ما وجد نفسه يتجه نحوهم وكأنه غريب مسافر وجد وطنه أخيرا..

كانت شلة متشـــابهة فى كل شىء فجميعهم أكملوا تعليمهم وبعضهم من أهل الدبلوم وبعضهم من أرباب الكليات الميتة مثل كليـــة عبـــد الله وجميعهم عاطلون.. ما عدا شـــخص واحد وهو محســـن الذى يمتلك أبوه ســـوبر ماركت.. ويقوم محسن أحيانا بالعمل فيه لمدة بضع ساعات..

ولكنه بمجرد أن يدخله ينهال عليه أصدقاءه الأعزاء كالطوفان، يطلبون منه السجائر والبيبسى والمعلبات ويدفعون له أغرب ثمن عرف فى تاريخ المعاملات.. وهو قلم خفيف على قفاه تصاحبه ضحكة حميمة مع كلمة «ضيف على النوتة يا صاحبى ..»

وظل الحال هكذا حتى قرر أبو محسن أن يمنعه نهائيا من العمل فى السوبر ماركت حتى ينقذه من الخراب.. فهو لم ير أبدا هذه النوتة التى فيها حساب هؤلاء الأصدقاء..فأصبح محسن مع الشلة ليلا ونهار..

ألقى عبد الله عليهم السلام بلسعة سريعة على كف كل واحد منهم.. ثم أعطاه أحدهم سيجارة وانهمكوا يتحدثون فى كل شىء وعن كل شىء.. عن السياسة وعن الرياضة وعن المغامرات العاطفية وعن المشاكل وعن بضاعة أبو محسن التى أصبحوا يشتاقون إليها..

- فين أيامك يا محسن.. كان محل أبوك بيحل لنا أزمات..
- أنتم السبب إنى انطردت، عمر ما واحد فيكم دفع مليم..
- هنجيب منين يا محسن ما انت عارف الحالة..
- طيب ايه رأيكم.. فى شركة فى العاشر من رمضان طالبة ناس للشغل..
- تانى قطاع خاص.. يا عم صاحب الشغل بيستعبدك ويعاملك على أنك عبد عنده..
- ايه الكلام الخايب ده.. هو انت عمرك بتشوف صاحب شركة كبيرة زى دى أو عمرك حتى هتقابله..

○ طبعا انت عايزنا نشتغل عشان نسد لك ديون أبوك..

○ لا والله انا هروح وهجرب زيكم..

وقـرر عبـد الله أن يذهب ليجرب حظه فى هذه الشـركة.. وأخـذت تداعبه الأحلام الجميلة.. ربما ينجح فى الشـركة.. وربما يتدرج فى المناصـب حتى يصبح مديرا.. وربما يأتى يوم ويقابـل صاحـب هذه الشـركة ويصبح ذراعـه اليمنى.. وربما أيضـا يتزوج ابنته بعد أن يوقعها فى شـباك غرامه.. ولم لا.. إن بداخله إحساسـا عميقا منذ طفولته أنه سـوف يصبح غنيًا وناجحًا.. بل إنه يقين وليس مجرد إحسـاس أنه سوف يكون من كبار الأثرياء.. فهو يمتلك كل مقومات النجاح.. عقل وذكاء وعبقرية وخبرة وتجارب وخبث ومكر..

كمـا أن لـه كاريزما عجيبة يراها كلمـا نظر فى مرآته . كل مشـكلته أنه نشأ فقيرا فى أسرة معدمة... ولكن هذا ليس عائقًا فكل النجوم والعباقره قد نشأوا فقراء معدمين مثله.. المسألة اذًا ليست مسألة فقر وإنما مسألة وقت.. ومعاد ضربة الحظ...

كانت مشـكلة عبد الله فى أنه لا يجد حتى أجرة المواصلات التى ستوصله إلى مقر الشركة فى العاشر..

إنه على الأقل يحتاج إلى عشـــرين جنيها حتى تكفيه ذهابا وإيابا..

كما أنه لابد سيحتاج أن يأكل ولو ساندوتش واحد طوال هذا اليوم.. إن أقل من عشرين جنيها لن يكفى ليوم مثل هذا..

لم يكن مع أمه هذا المبلغ البسيط. ولذلك كان على عبد الله أن يخوض مغامرة جديدة من مغامرات ديونه المرة.. حتى يجد أحدا يقرضه هذا المبلغ..

وفى الصباح كان عبد الله يمشى مترنحا فى الشوارع ويشعر بعدم توازن فى عقله وجســمه.. فهو منذ فتره طويلة لم يستيقظ مبكرا فى هذا الوقت..

كان له زمن بعيد لم ير ضوء الشــمس فــى الصباح.. وجلس عبد الله على دكة خشــبية فــى موقف الأوتوبيس المزدحم كى ينتظر الأوتوبيس الذى ســوف يوصلــه... وأخذ عبد الله يتأمل الناس من حوله..

حركــة الناس المتزاحمة الســريعة مثل النمل.. كيف يجرون ويتســابقون إذا وصــل الأوتوبيس المنتظَر.. الــكل يجرى على رزقه.. كل إنســان من هؤلاء يسعى إلى مكان سوف يجلب منه

المال.. كل واحد منهم يعرف له مقرًا سوف يقبض منه راتبه.. ما عدا هو.. فهو الوحيد الذى ليس له أى مكان يعطيه أى نقود.. إنه إحساس بغيض..

أن تكون فى هذه الحياة ليس لك أى شىء يدخل لك موردا للنقود.. لا وظيفة ولا معاش ولا ميراث ولا محل ولا حتى شخص من أقاربك يتكفل بمعيشتك... لا يوجد لك أى رصيد يجعلك تقف على أى شباك صرافة.. إن ما عليك هو أن تدفع ولا تأخذ شيئا.. وإنما تدفع فقط..

وأما هؤلاء الناس الذين يستيقظون كل يوم مبكرا وينتشرون فى الشوارع كالجراد.. فإنما لكل واحد منهم هدفه ومكانه الذى يعرفه وسوف يجلب منه المال.. إذا فكل هؤلاء الناس يسعون ويتحركون من أجل المال.. إذًا فهدف الإنسان من الحياة هو المال.. ثم راح عبد الله يتعمق أكثر وأكثر فى أفكاره.. فقال: ولكن ما هو المراد من المال؟! لماذا يتعب كل هؤلاء لمجرد الحصول على بضع أوراق.. إن المال فى حقيقته هو مجرد ورق مثله مثل ورق الجرائد أو ورق الكراريس.. هو مجرد ورق..

ولكن هذا الورق يشترى الناس به الطعام.. إنهم يأكلون به

ويطعمون به أولادهم.. إذًا كل هؤلاء يتحركون من أجل الطعام.. إذا هدف الإنسان من الحياة هو الطعام..

وهنـا انتبه عبد الله أن أمامه على الرصيف الموازى له توجد فاترينة محل كشرى..

فقـرر عبـد الله أن يدخل المحل ويتناول طبقا من الكشـرى يسد به جوعه ويتناول به طعام الإفطار.. فإن هذا هو أهم شيء الآن.. لأنه هكذا قد هداه تفكيره أن الإنسـان إنما يسـعى فى الحياة من أجل الطعام..

ودخـل عبد الله المحل الذى قد فرشـت أرضيته بنشـارة الخشـب الملونة.. وملأتـه روائـح الصلصلة والثـوم والتقلية المصريـة..

كان مملـوءا ضجيجـا من أصـوات الملاعق والمغـارف التى تـرن كل حين على الحلل والأطباق فتحـدث صوتا عاليا مثل الأجراس..

ورغـم أن المحل كان مزدحمـا إلى حد ما فإن كل واحد كان مشـغولا بنفسه وبطبق الكشـرى الذى أمامه.. ما عدا عبد الله الذى كان يجلس بدون طبق كشـرى ويبدو أن عمال المحل قد

نسوه فى زحام الزبائن.. فأحس عبد الله بالضيق فهو كان يظن أنه سيجد المحل فارغا..

فان الناس عادة لا يتناولون الكشرى فى وجبة الفطار.. ولكن هكذا القاهرة.. كل شىء فيها مزدحم.. وكل بضاعة لها عشاقها وزبائنها حتى ولو كانت حصى وحجارة..

تطور شعور عبد الله مع الوقت من الضيق إلى الحياء والخجل.. فقد انتابه إحساس فى جلسته بأنه مثل الشحات الذى ينتظر الطعام وأنه لتفاهته لم يشعر به العمال ولم يهتموا به.. وأحس بالخجل لأن الناس يأكلون وهو يجلس وكأنه ينظر فى أطباقهم..

وذكره هذا المشهد بموقف جلوسه على كورنيش النيل وحيدا مع نفسه.. بينما يجلس كل شاب مع حبيبته أو خطيبته.. فيبدو وكأنه مسكين غير مرغوب فيه سقط فى هذا المكان عن طريق الخطأ.

وعندها لم يتمالك عبد الله نفسه وصاح صيحة لا شعورية يثأر بها لكرامته.

○ أنت يا عم البياع.. أنا قاعد هنا من ساعة!!

وكانت نتيجة صيحته العالية المفاجأه أن كل الزبائن الجالسين التفتـوا إليه ما عدا عامل المحل الذى لم يعره أى اهتمام وراح يواصل تقديم طلبات الزبائن الآخرين..

فشعر عبد الله بالاحراج والغضب أكثر وأكثر فصرخ مرة أخرى بصوت أعلى ونبرة يملأها التهديد..

○ انت يا عم انت.. هتخلص ولا أمشى!! أنا مش فاضى..

فـرد عليه عامل المحل فـى برود ولا مبـالاة وهو يضع طبق الكشرى أمامه..

○ عايز تمشى امشى.. وبعدين يعنى هو انت وراك الديوان..

وفكر عبد الله أن ينصرف بالفعل.. ولكنه خشى أن يكون انصرافه وخروجه من المحل بهذه الطريقة سيكون ملفتا له أكثر وسيسبب له إحراجا أكبر أمام الزبائن.. كما أن انصرافه لن يقدم أو يؤخر فى ميزانية المحل فهو مملوء بالزبائن سواء بوجوده أو بعدم وجوده..

كما أنه بالفعل ليس وراءه الديوان كما قال له عامل المحل.. وبدأ عبد الله ينظر فى هيئته وثيابه وقد تشكك أن ثيابه العادية ربما تكون هى السـبب فى عدم توقـير الناس له .. وأثناء هذه الأفكار المتلاحقة كان عبد الله قد التهم طبق الكشرى..

خـرج عبد الله من المحل ليجد أن الدكة التى كان جالسـا عليهـا أصبحت فارغة.. فتأكد أن الأوتوبيس الذى كان ينتظره قد مر وأخذ الركاب فى فترة غيابه القصيرة..

وبعـد صباح مرهـق قضاه عبد الله متنقلا بين الأوتوبيسـات والتاكسـى والميكروبـاص.. وقد ركب جميع أنـواع المواصلات العامة حتى وصل إلى مقر الشـركة فى العاشـر من رمضان فى إحدى المناطق الصناعية.

وبالفعل التحق عبد الله بالوظيفة..

لم يكـن عبد الله يعرف أن نهاية وظيفته هذه سـوف تكون السجن وليس النجاح والمستقبل والثراء..

أصبح يصحو كل يوم مبكرا ليذهب إلى عمله فى العاشـر من رمضان ويعود فى آخر الليل بعد رحلة شاقة مع عناء المواصلات فى زحام القاهرة..

كان للشـركة أوتوبيس خاص ولكنه لم يكن يدخل إلى الحى العشوائى الفقير الذى يسكنه عبد الله..

وكان الراتـب الذى يتقاضاه أقل بكثير من تكلفة مواصلاته وثيابـه ونفقاتـه الخاصة.. فلـم يعطه المرتب سـوى القدرة

على شـــراء بعض الوجبات الســـريعة وبعض السجائر وأجرة المواصلات..

ولكنه لم يكن بهذا العمل قادرا على الإنفاق على بيته وأخوته الصغار أو الحلم بمشروع خطبة أو زواج..

قرر عبد الله أن يقيم فى مدينة العاشر وأن يستأجر شقة هناك مع بعض العاملين ليوفر نفقة المواصلات.. ولكنه تفاجأ هناك بأن نصيبه من أجرة الشقة وتدبير طعامه وشرابه كلفه أكثر من الأول.. فـــإن والدته بالرغم من كل شـــىء كانت لها القـــدرة على تدبير حاجات المنزل بأقل تكلفة وبما تقترضه من الجيران.. وقد علمها الزمن والفقر كيف تدخر من العدم حتى لا يجوع أولادها..

وأصبـــح عبد الله يدور مع ترس الماكينة التى يعمل عليها كل يوم والتى لا علاقة لها بتعليمه أو شهادته وطموحه..

ومـــع ذلك كان يعمل بكل جهـــد وتفانٍ حتى لا يصبح للحظ حجة فى أنه مقصر أو كسول..

لقـــد أصبح منتجا وصار يرى ماكينته تعمل وترمى كل يوم ما يزيد فى ثراء أصحاب الشركة..

وأمـــا هو فالحال كما هو الحال.. إنـــه يحتال فى نهاية كل

شـــهر كى يدبر نفقاته ولكن لا أمل لديه فى أن ينفق على أهله أو يتزوج أو يصنع مستقبلا..

وارتضى عبد الله بحاله وقرر أن يواصل عمله فى صمت،،

فهكـــذا هـــو القطاع الخـــاص.. ويكفـــى أنه نجـــا من لقب «عاطل»..

حتى أتى هذا اليوم الذى لم يكن فى الحسبان..

لقـــد قضى عبد الله طوال الشـــهر يعمل ويقـــترض على أمل واحد.. إنه ذلك اليوم.. يوم واحد فى الشـــهر الذى ســـيتقاضى فيه مرتبه حتى يسد ما عليه من ديون وأقساط..

ولكنه فوجئ بصراف الخزنة فى هذا اليوم يغلق شـــباكه فى وجوههم وهو يقول:

○ مافيش مرتبات.. الخزنة فاضيه.. اطلعوا على الإدارة..

وبالفعـــل توجه عبد الله مع باقى العمال إلى إدارة الشـــركة.. التى لم تسمح لهم بالمقابلة.. وقرر رئيس القسم أن يقابل خمسه منهم فقط ليتحدث إليهم ويسمع شكواهم..

واندفع عبد الله ليكون وسط هؤلاء الخمسة المختارين.. فقد كان يشـــعر بأن انفجارا ســـوف يحدث بداخله إن لم يتمكن من أخذ راتبـــه بعد كل هذا العناء الطويـــل.. وبالفعل دخل عبد الله بين

هؤلاء الخمسة إلى مكتب رئيس القسم المكيف والمفروش بأحدث أطقم صالونات المكاتب..

كان أمام رئيس القسم فنجان كبير - مج - مملوءا نسكافيه فتناول منه رشفة خفيفة ثم خاطبهم وهو يوجه الكلام إلى رجل كبير فى السن منهم قائلا فى هدوء:

- فى ايه يا حاج عطا.. زعلانين ليه؟
- أبدا يا باشمهندس ربنا مش يجيب زعل ولا حاجة، كل الموضوع أن...

وهنا قاطعه رئيس القسم بحدة وقد تحولت لهجته من هدوء ووداعة إلى عاصفة حادة..

- موضوع إيه يا عطا اللى انت عايز تحكيه.. انت مجمع العمال وعامل تجمهر وعايز تعطل الشركة.. اخص عليك راجل كبير وناقص.. كل ده علشان المرتب اتأخر شوية، وايه يعنى.. الشركة بتمر بأزمة بدل ما تصبر عليها، عايز تولع الدنيا حريقة..

وعندها أدرك عبد الله أن رئيس القسم قد اختار هذا الرجل المسن ليدير معه الحوار ليس من باب التوقير.. وإنما لأنه يعرف

تماما أن هذا الرجل الطيب المسكين سوف يقف موقف المدافع فقط وليس المهاجم.. وهذا بالفعل ما حاول أن يفعله الحاج عطا وهو يلملم كلماته أمام هذه العاصفة الهائجة من رئيس القسم فأخذ يقول:

- طيب هدى نفسك يابشمهندس.. انت عندك حق لكن العمال غلابة وعليهم ديون ومحتاجين المرتب.. واطمن احنا مش هنعطل الشغل ولا حاجة..

فكانت نتيجة هذه الكلمات الرقيقة المهذبة أن انفجر رئيس القسم قائلا..

- وهو انت تقدر تعطل الشغل؟؟ أنا ممكن أجيب لكم أمن الدولة فورا.. ده تجمهر وتظاهر وتخريب..
- لا لا يا باشمهندس مافيش داعى لكل ده.. احنا كلنا راجعين على شغلنا.. وايه يعنى لما نصبر على الشركة.. لازم نصبر وكلنا بنتعذر.. الصبر حلو.. أيوه الصبر حلو.. وربنا يقوى الشركة يارب..
- طيب ياللا على شغلكم.. عيب كده يا حاج عطا.. أول وآخر مرة أشوف التجمهر ده.

وبالفعـــل بدأ الكل فى الانصراف وأخذ الحاج عطا يقول لهم كل واحـــد يرجع على مكان شـــغله المشـــكلة اتحلت خلاص.. شـــوية صبر ياناس.. فأخذوا ينصرفون وكان بعضهم يضرب كفا علـــى كف.. والآخـــر يضحك فى بلاهة وهو يتمتم – كويس إن أنا عندى جمعية هقبضها بكرة.. وآخر يقول لنفسه – أنا أصلا بشتغل علشان أسلى نفسى أنا مش محتاج فلوس..

وانصرف الجميع ما عدا عبد الله الذى وقف متســـمرا مكانه وكأنه صخرة حجرية لا تنطق ولا تتحرك..

فصاح فيه رئيس القسم..

○ وانت ايه اللى موقفك هنا ياللا على شغلك

فقال له عبد الله وهو يثبت عينيه إلى وجهه فى نظرة حادة

○ أنا بس عايز أسألك سؤال!

○ سؤال.. سؤال ايه انت كمان..

○ أنا عايز أعرف انت قبضت مرتبك ولا هتصبر زينا؟

فنهض رئيس القســـم من كرســـيه وكأن عقربـــا لدغته بهذا الســـؤال وراح فمه يتفجر بالصراخ فاخـــذ يقول والرذاذ يتطاير من فمه

○ انت مين علشان تسألى.. انت متحول للتحقيق.. أنا هفصلك..
أنا هرفدك.. اطلع بره.. هاتولى الأمن.

وراح المهندس فى ثورة هياجة يدفع عبد الله بيده وهو يطرده من مكتبه..

فتيقن عبد الله فى هذه اللحظة انه لن يعمل فى هذا المكان مرة ثانية.. وأنه لن يحصل على أجرة تعبه وعرقه.. وأنه لن يصبح مديرا لهذه الشركة فى يوم من الأيام.. وأنه لن يتزوج من ابنة صاحب هذه الشركة كما كان يحلم..

فما كان من عبد الله إلا أنه وجد رغبة بداخله وشعور عارم يسيطر عليه أنه لابد أن يضرب هذا الرجل..

وفى أقل من الثانية وجد نفسه يشد قبضة يده ثم يهوى بها بغير تردد إلى وجه رئيس القسم فكانت نتيجة هذه اللكمة الخاطفة أنه سقط على الأرض فاقدا للوعى..

وأحاط فريق الأمن بعبد الله وأمسكوا به وهو يحاول أن يفلت منهم ويواصل ضرب رئيس القسم . وتجمع الناس وملأ المكان جو من الصخب والهرج.. الذى كان نتيجته أن خرج عبد الله والناس يقتادونه إلى عربة النجدة التى أوصلته إلى قسم الشرطة..

لم يجد عبد الله ما يدافع به عن نفسه أمام ضابط المباحث التى فتح له المحضر..

كان يشعر من داخله أنه على حق.. كان يضرب الظروف والعوائق التى تحاربه طوال حياته.. كان يهاجم مصاصى الدماء الذين لا يشعرون بآلام الناس ويطالبون الضحية بالصبر حتى يتم ذبحها وسلخها..

لكن القانون لا يعرف ذلك.. خاطبه الضابط قائلا: انت موجه إليك تهمة التعدى على موظف أثناء تأدية عمله وإحداث العاهة المستديمة.. ايه ردك..

- طيب وأنا اللى تم الاعتداء علىّ فى عملى بمنع مرتبى وتهديدى بالفصل.. أنا اللى المجتمع عمل عندى عاهة مستديمة طول عمرى وحرمنى من الوظيفة والجواز والمستقبل.
- ده يا ابنى كلام انشا ماليش دعوة بيه.. أنا بنفذ القانون.. يتم حبس المتهم أربعة أيام على ذمة التحقيق.. خده يا مغاورى على الحجز.

خرج عبد الله من الحجز وتوجه مسرعا إلى بيته وقد قضى

فى الزنزانة ليالى سوداء لن ينساها طوال حياته جعلته يندم على أنه فكر يوما ما فى العمل.

وبمجرد أن راى عبد الله سريره سرعان ما ارتمى عليه وكأنه يعانق صديقا لم يره منذ سنين..

وكان التعب الذى أنهك جسده جعله يغرق فى النوم ولا يشعر بالحوار الذى أجرته معه أمه وهو ملقى على السرير..

O حمدلله على السلامة يا ابنى.. أخبار شغلك الجديد إيه.. أكيد قبضت المرتب.. طيب قوم ناولنى فلوس علشان نسد اللى علينا للجيران واشترى أكل وأعمل لك غدا وبعدين نام براحتك..

مرت فترة من الزمن.. أيام وأسابيع وشهور.. وكان عبد الله راقدا على سريره طوال الوقت.. حتى أصبح لا يخرج من غرفته التى ملأتها رائحة السجائر والهواء العطن.. لم يعد يحلق ذقنه ولا يغير ملابسه ولا يتكلم.. لا يفعل شىء سوى أن ينام ويقوم من نومه ليدخن وينام مرة أخرى..

فقدت أمه الأمل فيه.. ويأس أصحابه أن يخرجونه من هذه الحالة.. وبدأ الجميع يشكون فى أن عبد الله قد أصيب بمرض نفسى..

فى هذا اليوم كان قد نام أكثر من سبعة عشر ساعة.. لم يكن يشعر بأمه وأخته وأخوه الأصغر وصاحبه محسن الذين كانوا يجلسون فى غرفته من أكثر من ساعة ينتظرونه أن يفيق..

نادت عليه أمه كثيرا.. ونادى عليه محسن ولكن بلا فائدة.. كان أشبه فى نومه بالميت..

بكت أمه ووضعت وجهها فى كفيها وهى تقول..

○ ابنى الوحيد يا ربى.. سندى وأملى فى الدنيا.. يارب أعمل إيه ماليش غيره.

حاول محسن أن يهدأ من أحزانها وأن يمنحها بعض الأمل..

○ معلش يا أمى ربنا موجود أنا متأكد أن محسن مش طبيعى.

○ مش طبيعى ازاى يا ابنى.. يعنى عيان ولا عنده إيه انا احترت

○ بصى يا أم محسن ممكن يكون معمول له سحر أو لابسه جن.

○ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. معقوله يا محسن يا بنى.

○ أيــوه أنا كنت أعرف واحد جارنــا كان ملبوس وكان بينام كتير كده, وبعدين جاله شيخ قرأ عليه وخف الحمد لله

تلهفت أم عبد الله وشــعرت ببريق من الأمل وقد وجدت فى توصيف محســن لحالة ابنها طوق نجاة فــى أن تعرف حقيقة حالته وطريق علاجه.. فســألته فى حماس وهى تمسح عينيها ووجهها..

○ طيب نلاقيه فين يا ابنى الشيخ ده اعمل معروف؟؟

○ مــش تقلقلى يــا أم عبد الله أنا أعرف شــيخ متخصص فى الحكاية دى وبعت أجيبه.

كان عبد الله فى هذا الوقت قد بدأ يحاول الاستيقاظ.. كانت كلماتهم وهمســاتهم تخترق عــالم نومه فيســمع بعضها ويرى البعض الآخر على أنها أحلام..

لقد شــبع عقله من النوم ومل جســده من هذا الموات البطىء فقرر أن يستيقظ ولكنه كان بالفعل لا يستطيع..

كان يرفع جفنيــه عن عيونه بصعوبة بالغة وكأنه يرفع حملا ثقيلا.. بدأ يرى وجوه الجالسين حوله وكأنهم خيالات وأوهام.. سمع صوت أخته وهى تقول – أهو عبد الله فاق أهو.

فقامت أمه وجلســت على سريره وهى تقول: اسم الله عليك يا ابنى، إيه اللى جرالك.

وتحرك محســن ناحية النافذة الصغيرة وهو يقول: يا جماعة افتحوا الشباك ده لازم نهوى له الأوضة..

ودخل شعاع من الشمس إلى الغرفة ومعه شيء بسيط من الهواء الذى كان مطلوبــا ليجدد هــواء هذه الغرفة الضيقة والتــى أصبحت خانقة بسبب كثرة الموجودين وعدم وجود منافذ للتهوية خصوصا أنها حجرة صغيرة جدا أشــبه بالحفرة لا تتسع إلا لسرير صغير ملتصق بحوائطها وكنبة خشبية لا يفصلها عن السرير سوى بضعة سنتيمترات..

ما أن شعر عبد الله بشعاع الشمس يغمر بصره وحجرته حتى وضع يده على عينيه وقال لهم بلسان ثقيل..

○ اقفلوا الشــباك، اقفلوا الشباك بسرعة، عنيه بتوجعنى مش قادر.

فنهض محســن وأغلق النافــذة نصف إغــلاق وراح يلاطف صاحبه قائلا:

○ حمدلله على السلامة يا بطل.. إيه يا عبد الله مش ناوى بقى تقوم وتخرج من الأوضة دى.

نظر عبد الله إلى محسن بعينيه التى ملأهـا اللون الأحمر نظرة مريبة فى تجهم واضح لمدة دقيقة كاملة ولم يرد عليه.. حتى شك الجميع أنه لم يعد يعرف محسن وأنه ربما يكون قد فقد الذاكرة..

حتى أن محسن قد أصابه القلق من نظراته ووجومه وبدأ يشعر بالفعل أن صاحبه لم يعد يعرفه..

فأخذ يكمل الحوار مرة أخرى وهو يريد أن يتيقن هل فعلا عبد الله قد أصبح لا يعرفه!

○ فى إيه يا عبد الله انت بتبص لى كده ليه؟ انت مش عارفنى ولا ايه؟

ولكن إجابة عبد الله كانت مفاجأه طمأنتهم جميعا وبددت مخاوفهم

عندما نظر إلى صاحبه وقال له..

○ هات سيجارة يا محسن.

فضحك محسن بشدة وراح ينطلق فى كلماته وهو يخرج سيجارة لصاحبه.

○ أيوه كده يا رجل.. طمنتنى عليك.. فينك يا عبد الله وفين أيامك.. فاكر لما كنت بتشكك منى البضاعة أيام المحل.

وتبسم عبد الله على أثر هذه الكلمات وقال فى هدوء ووقار واضح..

○ طبعا فاكر يا محسن، انت إنسان طيب وإحنا كنا هنخرب لك المحل.

وابتهجت أم عبد الله وهى تراه يتحدث فى رزانة ووعى تام ويضحك مع صاحبه..

ولم يقطع حوارهم سوى دخول وفاء أخت عبد الله وهى تحمل فى يدها صينية عليها طبق من الحساء وقطعة من الدجاج وكوب من الشاى..

ووضعتهم أمام عبد الله على سريره وهى تقول له فى حنان وسرور واضح..

○ انت بقيت كويس يا عبد الله الحمد لله، لازم تاكل علشان انت لك طويلة نايم ومش بتاكل أى حاجة وجسمك ضعف جدا.

ابتسم إليها عبد الله ابتسامة خفيفة وكأنه يطمئنها بها على حالته وصحته.. وأخذ منها الصينية ثم تناول منها كوب الشاى فقط ليرتشف منه رشفات سريعه مع أنفاس سيجارته..

ساد جو من الصمت وهم ينظرون إلى عبد الله بينما كان هو مستغرقا فى النظر إلى سقف الحجرة وهو يدخن ويشرب الشاى.. فأراد محسن أن يقطع هذا الصمت ويضفى جوا من المرح على الجلسة..

○ تعرف يا عبد الله أنا نفسى أقدر أنام زيك كده.. على الأقل أرتاح من المشاكل.. والله انت فى نعيم..

فرد عليه عبد الله فى مرارة..

○ حتى النوم هتحسدنى عليه يا محسن.. مين قال لك إن أنا مرتاح.. أنا مش بنام أنا بموت..

○ يا رجل تموت إيه بعد الشر عليك.. انت زى الفل أهو.. ده إحنا افتكرنا إنك..

○ افتكرتونى اتجننت.. مش كده.. لا اطمنوا أنا عاقل جدا..

وأخذ مجدى يضحك ضحكا مصطنعا وهو ينظر إلى والدته وأخوته ليخفف عنهم هموم خوفهم عليه..

ولكن أمه لد تبادله الضحكات ولم يكن من الصعب عليها أن تكتشف أن ابنها يتصنع الضحك ليخفى ما بداخله من المتاعب والأحزان..

إن كلمتـــه أنه لا ينـــام وإنما يموت جعلتها تشـــعر أن ابنها يبحث عن الموت والخلاص من حياته.. فهمست له قائلة:

○ يا عبد الله يا حبيبى علشـــان خاطرى كل.. كفاية ســـجاير ودخان وكل يا ابنى أى حاجة..

وفجأه فى رد فعل غير متوقع صاح عبد الله بأعلى صوته فى حالة هيستريا واضحة...

○ انتـــم عايزيـــن منى إيه.. حتى الســـجاير عايزين تحرمونى منها.. كل ده علشان مش أنا اللى بدفع تمنها..

عايزيـــن منـــى آكل وبس.. هو أنا حيوان فـــى نظركم عايش علشـــان الأكل.. حاضر.. ماشـــى.. أنا هريحكـــم وهاكل.. هو الإنسان هدفه ايه من الدنيا غير الأكل..

وراح يرفع طبق الحســـاء الســـاخن الملتهب ويشربه كله فى جرعة واحدة حتى أغرق ثيابه وفراشه..

ثم أمســـك قطعة الدجاج فى عصبية واضحة وأخذ يحشو بها فمه ويحاول بلعها فى دفعة واحدة بعصبية شديدة.. وكأنه يريد أن يتخلص من هذا الطعام فيلقى به فى جوفه..

ولكنه لم يســـتطع البلع وأصابه اختناق أخذ يســـعل بســـببه

سعالا شديدا.. فأسرعت أخته نحوه بزجاجة من الماء فتناولها وشربها حتى آخرها ثم ألقى بجسده على الفراش وهو يصيح فيهم:

○ كفايه كده أنا تعبت.. سيبونى واخرجوا.. أنا تعبان وعايز أنام

وفى هذا التوقيت سمعوا طرقا على الباب فقام محسن مسرعا وفتح الباب وهو يقول..

○ اتفضل يا شيخ رشدى أهلا وسهلا إحنا فى انتظارك من بدرى.

كان شيخا فى حوالى الخمسين من عمره.. سمين البدن وله كرش ضخم يمتد أمامه ويسبقه فى كل تحركاته..

يرتدى جلبابا أبيض قصير وله لحية طويلة متناثرة، وفى يده عصا قصيرة غليظة..

لم يكن فى الحجرة مكان يتسع لضيف آخر.. فاضطرت أم محسن للقيام من مكانها لتفسح مكانا ليجلس الشيخ رشدى الذى خاطبهم فى وقار..

○ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- وعليكم السلام أهلا وسهلا يا فضيلة الشيخ.
- ايه الموضوع بالظبط؟
- عبـد الله ابنى يا شـيخ اللى صابه صابـه.. دايما نايم ولا بياكل ولا بيشـرب ولا بيخـرج من الأوضة، وله فتره كبيره على الحال ده.
- هو بيصلى؟
- كان ساعات بيصلى لكن الفترة دى مش بشوفه يصلى.

فرد الشـيخ رشـدى وهو يلقى بنظره على عبد الله الذى كان ملقى على فراشـه وقد وضع ذراعه على عينيه وكأنه لا يشـعر بما يدور حوله..

- يبقى طبعا الشـيطان تسلط عليه ولبسـه.. ده كفاية أوضته اللى مليانه بأعقاب السجاير.. ده أقل عقاب يحصل له لأنه إنسان فاسد بيغضب ربنا..

فقالت أم عبد الله وهى لا تتمالك نفسها من البكاء..

- أبدًا والله يا فضيلة الشيخ.. ده ابنى طول عمره مؤدب وطيب ويعرف ربنا وعمره ما أذى حد..

وتدخل محسن قائلا..

○ بالراحة عليه شـــوية يا شيخ رشـــدى.. وعلى فكرة عبد الله فعلا طيب ومحترم لكن هو مر بظروف صعبة.. هو بس مقصر فى موضوع السجاير ده.

كان عبد الله يسمع حوارهم دون أن يتدخل فيه..ولكنه على ذكر الســـجائر وجد نفسه يخرج سيجارة ويشعلها وهو نائم ولا يعرف لماذا يفعل ذلك.. ربما أنه يتحدى بها هذا الشـــيخ الذي يتهمه بالفســـاد والفسق ويقسو عليه رغم أنه لا يعرفه ولا يحيط بما فى داخله من الآلام..

سأل محسن الشيخ رشدى قائلا:

○ طيب هتعمل إيه دلوقت يـ شيخ رشدى؟

○ هقرأ عليه قرآن وإن شاء الله يخرج الجن منه.

○ طيب وإيه العصايا اللى معاك دى؟

○ دى علشان أضرب بيها الجن لو عصلج معايا.

○ خـــد بالـــك يـــا شـــيخ رشـــدى أن عبـــد الله تعبـــان ومش مستحمل.

○ لا لا اطمـــن هو مش هيحس بحاجة الضرب هيكون فى اللى عليه.

ثم نهض الشـيخ رشـدى من مكانه وجلس بجسـمه الضخم على السرير حتى أحدث السرير أصواتا غريبة وكأنه على وشك الانهيار..

ووضـع يـده على رأس عبد الله وأخذ يتلـو آيات من القرآن بطريقة سريعة متلاحقة ونبرة صوت حادة يغلب عليها الصراخ أكثر من الخشوع والسكينة.. وكأنه يخاطب بهذه الطريقة الجن والشياطين التى تسكن جسد عبد الله..

واستمر الشيخ رشدى هكذا لمدة أكثر من نصف ساعة، ولما لم يلاحظ أى تأثير أو تغيير على جسد عبد الله الذى كان متمددا وواضعا ذراعه على عينيه كما هو.. بدأ الشيخ رشدى يجذب يد عبد الله من على عينيه ويقول له بحدة فى لهجة الأمر:

- نزل ايدك وبص فى عنيه
- أبص فى عنيك ليه؟
- علشان أخرجك يا ملعون.
- هو انت تقدر تخرجنى من اللى أنا فيه.
- طبعا أقدر أخرجك وأحرقك كمان يا ملعون.
- ليه بتقول علىّ ملعون.. أنا أعرف ربنا زيك ويمكن أكتر.

○ طيب يا ملعون المهم تخرج دلوقت.

○ لوعايزنـــى أخـــرج هات لى تعب الســـنين اللـــى قضتها فى التعليم.. لو عايزنى أخرج رجع لى كرامتى تانى.. لو عايزنى أخرج يبقى هات لى وظيفه محترمة أو ساعدنى بمبلغ أعمل منه مشـــروع آكل منه رزق حلال.. ده لو انت بجد عايزنى أخرج من هنا.

○ انت هتســـتهبل.. انت هتخرج من جسمه يعنى هتخرج من جسمه.. انت اسمك إيه.؟

○ اسمى عبد الله.

وهنا رفع الشـــيخ رشدى عصاه الغليظة وراح يضرب بها عبد الله وهو يقول:

○ انت شيطان وكذاب ولازم تتأدب.

ولكن العجيب أن عبد الله لم يقاوم هذا الضرب ولم يمسك هذه العصا التى راح يهوى بها الشيخ رشدى على جسده العليل..

كان جســـد عبـــد الله قـــد أصبح يتعشـــق الألم لعله يجد فيه الخلاص من حياته الثقيلة التى لم ينجح فى الخلاص منها عن طريق النوم.. لذلك لم يحاول الدفاع عن نفسه..

نزل الشيخ رشدى من على السرير وهو يلهث كى يلتقط أنفاسه بعد هذا المجهود الشاق خصوصا على شخص بدين مثله..

وقف على الباب يخاطب أم عبد الله الذى سمعه وهو يقول..

- هو هيحتاج جلسة تانية لأن معمول له سحر سفلى.
- يا ساتر يا رب.. أرجوك يا شيخ رشدى مش تتأخر عليه.
- حاضر.. الله المستعان.
- طيب يا شيخ رشدى حضرتك عايز كام؟

فارتفع صوت الشيخ رشدى وهو يقول فى غضب وانفعال..

- أعوذ بالله.. انتى بتقولى إيه يا ست انتى.. أنا مش باخد حاجة ده كله لوجه الله..

ثم خفض طبقة صوته فجأة وأخرج من جيبه زجاجة صغيرة وهو يقول..

- أنا برفض إنى آخد أجرة يا أم عبد الله.. انتى بتدفعى خمسين جنيه بس تمن الزجاجة دى لأن فيها زيت زيتون وعطر مخصوص مقروء عليه يعنى والله مش جايب تكلفة الزجاجة.

○ حاضر يا عم الشيخ تحت أمرك.

○ ياللا يا ستى كله لوجه الله.

فذهبت أم عبد الله إلى أخته وفاء وهمست فى أذنها..

○ معاكى خمسين جنيه بسرعة؟

فسمعها عبد الله وهى ترد على أمها..

○ معايا خمسين جنيه كنت شايلاهم لإيجار الشقة.. خديهم اهم

وهنا قفز عبد الله مَن على سـريره قفزة بهلوانية حتى أصبح فجأه فوق الشيخ رشدى ممسكا بعنقه حتى أسقطه على الأرض وخنقه خنقا شديدا وهو يقول له..

○ أنـا اللـى لازم أخرج روحك من جسـمك يا نصاب.. جاى تضربنـى وكمان تاخد إيجـار بيتنا.. القرآن برىء منك ومن أمثالك يا ملعون.

○ كفايـه يا عبـد الله الرجل هيموت فى ايـدك.. كفاية مش ناقصين مصايب.

وبصعوبة بالغة استطاعوا أن ينقذوا الشيخ رشدى الذى أسرع ليخـرج من البيت هاربـا بعد أن تمزقت ثيابـه وكاد أن يلفظ أنفاسه فى هذا البيت.

وأخـــذوا يهدؤون من ثورة عبد الله الذى كان فى حالة هياج شديدة.

- هو عارف إن أنا مش ملبوس.. وكذب عليكم علشـــان ياخد فلوسكم.. ده مش شيخ ده نصاب.. نصاب..
- يا ابنى الجن موجود ومذكور فى القرآن.
- أنا عارف أن الجن موجود وعارف إنه ممكن يلبس الناس.. ويـــا ريتـــه كان لابســـنى كنت عرفت ســـبب اللـــى أنا فيه وارتحت.. لكن انا مش ملبوس.. مش ملبوس.
- طيب اهدى يا عبد الله خلاص الموضوع خلص.
- انتـــم الســـبب فى كـــده.. هو مش غلطان.. ســـيبونى أنام , سيبونى واطلعوا بره.

وانتهت الليلة بهذه الأحداث المرة.. وخرج محسن وهو يودع أم عبـــد الله وأســـرته ويحاول أن يجد فى جعبتـــه حلا لإنقاذ صاحبه..

- على فكرة عبد الله عنده حق واحنا اتصرفنا غلط.
- إزاى يا بنى!
- هو مش ملبوس ولا حاجة هو كده محتاج دكتور نفسانى.

- واحنـا هنعمـل إيه بس.. إذا كان هو مسـتحيل يخرج من الأوضة.. هنوديه إزاى لدكتور أو مستشفى.

فقالت وفاء وقد انهارت قواها ولم تتمالك نفسها من البكاء.

- يعنـى إيـه.. أخويا مش مجنـون.. حرام عليكـم.. حرام عليكم.
- لا يـا وفـاء عبد الله مش مجنـون ولا حاجة.. أنا أقصد أن سبب تعبه مرض نفسـى بسبب ظروفه الصعبة.. وعادى لما يشـوفه دكتور نفسانى ,ده مش عيب، اذا كان أرقى وأغنى الناس بيتعالجوا عند دكاترة نفسانيين.
- يعنى نتصرف إزاى يا محسن؟
- مش تشغلوا بالكم أنا هتصرف بكرة إن شاء الله..

وفى اليوم الثانى بينما كانت أم عبد الله وأخته وفاء جالستين حوله فى حجرته يحاولان أن يخرجاه مما هو فيه..

دخل عليهم محسن وهو مصطحب فى يده دكتور رؤوف إخصائى الطب النفسى..

كان رجلا طويلا ونحيفا بارز العينين.. ترتجف كفه بطريقة ملحوظة.. حاد فى تصرفاته وانفعالاته.. يبدو عليه وكأنه يعانى من قلق وتوتر ربما من كثرة اختلاطه بأصحاب المرض النفسى..

فقامت أم عبد الله وأخوته يفسحون له الطريق حيث توجه مسرعا وجلس بجوار عبد الله على سريره..

- هو اسمه إيه يا محسن؟
- قلت لك يا دكتور كذا مرة اسمه عبد الله.
- آه طيب.. قوم يا عبد الله عايز أدردش معاك شوية.

لكن عبد الله لم يرد عليه واكتفى بأنه ألقى عليه نظرة عابرة ثم حول وجهه عنه وراح يحملق فى سقف الحجرة مما جعل محسن ينادى على عبد الله..

- يا عبدو.. إيه يا عم مش ترد على الضيف.. الرجل عايز يتكلم معاك شوية.

○ أنا مش عايز أتكلم مع حد.

فهمس الدكتور رؤوف فى أذنه..

○ طيب قولى يا عبد الله إيه اللى مزعلك.. أنا عايزك تفضفض لى يمكن أقدر أساعدك.

○ محدش يقدر يساعدنى غير ربنا.

○ طيب عايز ربنا يساعدك إزاى قولى؟

○ ياخدنى ويخلينى أموت وأخلص.

○ طيب ليه يا عبد الله.. الدنيا مليانة حاجات حلوة كتير.

○ أنا مش معايا فلوس أشترى الحاجات الحلوة دى.. كل إنسان فى الدنيا دى لازم يكون لية مكان يقبض منه فلوس ما عدا أنا.

ونهض عبد الله من رقاده حتى استوى جالسا وأخذ يتكلم فى حماس وقد شعر برغبه ملحة أن يشرح بعضا من نظرياته الفلسفية.

○ تخيل يادكتور ان هدف الناس من الحياة دى هو الاكل..

○ معقوله ياعبد الله.. الأكل بس ! !

○ ايوه صدقنى كل الناس بتتحرك علشان الفلوس.. والفلوس يشترو بيها الاكل.

- ايــوه , لكن فــى أهداف تانية غير الاكل.. يعنى الشــهرة مثــلا، أو المنصب، أو الجــواز.. يعنى يا عبد الله الأهداف كتير.
- كلها صدقنى فى النهاية مجرد طرق للأكل.. يعنى الشــهرة أو المنصب كل ده مجرد طرق علشــان الإنســان يحصل على أكله بسهولة لأنه غنى أو مشهور.
- طيب وهدف الجواز إيه علاقته بالأكل؟
- حتى الجواز يا دكتور.. الإنســان بيتجوز علشان يكتر نسله ويفضل لــه وجود على وجــه الأرض.. وده ليه لأن الأرض فيها أكله وشربه.. يعنى برضه الهدف هو الأكل..

فانفجر الدكتور رؤوف فى الضحك وهو يقول:

- طيب ماشــى يا عبد الله.. أنا اقتنعــت بكلامك.. فيها إيه بقــى أنك تعيش من أجل الهــدف ده.. يعنى تجيب أكلك زيك زى باقى الناس.
- قصــدك زى الحيوانات.. انت كده يــا دكتور زى الحيوان بالظبــط.. تقدر تقولى إيه الفرق بينك وبين الحيوان.. ســواء الإنسان أو الحيوان.. الاتنين عايشين علشان بطنهم.

وصمت الدكتور وقد شعر بالإهانة والحرج من كلمات عبد الله الذى واصل حديثه قائلا:

- عمرك يا دكتور جربت الشعور ده؟
- شعور إيه؟
- إنك تكون طفل ومافيش لك حد يعطيك مصروف.. ولما تكبر يكون مافيش لك أى مكان تقبض منه فلوس.. عمرك جربت الإحساس ده؟؟
- كلنا تعبنا يا عبد الله فى حياتنا لكن بعد كده ربنا مش بينسى حد.
- أهو علشان كده أنا نفسى أخلص من التعب ده وأروح عند ربنا..

وقام الدكتور رؤوف يائسا وهم بالانصراف فوقف معه محسن وأم عبد الله على باب الغرفة.

- عنده إيه يا دكتور؟
- حالة اكتئاب وشيزوفرنيا واضحة.
- طب والحل يا دكتور؟
- محتاج لجلسات متكرره وأنا هكتب له على دوا مهدأ هيخليه ينام كويس.

○ لا يـــا دكتـــور اعمل معروف..ده هو على طـــول نايم.. احنا عايزينه يصحى ويفوق.

○ آه طيب أنا هكتبله شوية فيتامينات ومضادات للاكتئاب.

○ شكرا يا دكتور.. حضرتك عايز كام الفزيتا؟

○ خمسمائة جنيه بس

○ ياااااه كتير يا دكتور.

○ كتير إيه يا محسن.. انت عارف إن أنا علشان أسيب العيادة وآجى لمنطقة زى دى يكلفنى كام.. ده علشان خاطرك انت بس.

وبينما كان محسن يخرج النقود من جيبه ليعطيها للدكتور.. نادى عليه عبد الله..

○ يا محســـن اطرد الرجل ده بـــره.. ده نصاب زى أخوه بتاع امبارح.

○ عيب كده يا عبد الله.. انت مالك أنا اللى هدفعله.

فنزل عبد الله من على ســـريره وأمسك بكوب زجاجى وقذفه فى اتجاه الدكتور رؤوف الذى انحنى بســـرعة ليتفادى الكوب الذى اصطدم بالحائط وتناثر على الأرض..

وراح عبد الله يحاول أن يمسك بالدكتور وهو يصيح..

○ ده دكتـــور نصاب.. فاكـــر ن أنا المكان اللـــى هيقبض منه فلوس.

.. يعنـــى فى الآخـــر طلعت أنا الخزنة اللى جـــاى ياكل منها الحيوان ده..

وصرخت أم عبد الله وهى تدفعه إلى الوراء..

○ كفايـــة بقى فضايح.. حرام عليك يا ابنى اللى بتعمله فينا.. يا ابنى احنا عايزين نعالجك حرام عليك.

فى يوم مشمس صحو قامت أم عبد الله فى الصباح وأعدت له فطورا ســـاخنا.. طبقا من الفول وبعض حبات الطعمية الساخنة وكوبا من الشاي..

ودخلت إليه الغرفة وفى يدها صينية الطعام وفى اليد الأخرى صحيفة الأخبار..

وتعجبت أم عبد الله أنها لأول مرة تجده مســـتيقظا وجالســـا على فراشه فى هذا التوقيت..

انشـــرح صدرها ووضعت لـــه الطعام أمامه ثـــم فتحت نافذة الحجرة فانهمر الضوء يملأها..

تبسم لها عبد الله وراح يتناول الطعام فى سكينة غير معتادة..

جلست بجواره ورتبت على ظهره فى حنان..

- اسم الله عليك يا ابنى.. انت النهاردة زى الفل..
- أنا كمان حاسس إن أنا خفيت.
- ولسة يا عبد الله هتخف كمان لما تقرأ الإعلان فى الجرنال ده.
- إعلان إيه؟
- ده إعلان عن وظيفة... دول طالبين خريجين كلية التجارة ودفعتك كمان.
- تانى يا أمى.. تانى.
- لا يا عبد الله.. المرة دى وظيفة حكومى يعنى رسمية.. مش صاحب شركة يستغلك ويتحكم فيك.. علشان خاطرى يا ابنى.. روح جرب حظك.. مش مهم تقبل أو لا.. المهم أنك تخرج.
- طيب سيبينى دلوقت لو سمحتى.

وقام عبد الله فأخذ حماما باردا.. وحلق ذقنه.. ثم أخذ ينتقى

أحسن ما عنده من الثياب ويبحث عن زجاجة برفان عتيقة كان يضعها فى صندوق أسفل سريره من زمن بعيد..

كادت أمه تطير من الفرح وهى تراه خارجا من حجرته نظيفا متعطرا مرتديا ثيابه يودعها بابتسامة رقيقة..

وبالفعل كان الحظ حليفه.. ونجح عبد الله فى مسابقة الوظيفة..

وأصبح موظفا حكوميا فى الدولة.. كان راتب الوظيفة ضعيفًا ولكنه كان يكفيه شعوره بالأمان.. لقد أصبح يشعر أنه يسند ظهره إلى حائط قوى صلب ويستظل بشجرة لها جذور راسخة فى الأرض..

لم يعد هناك من يهدده بالفصل وقطع الأرزاق.. فالتعامل فى الوظيفة الحكوميه قائم بين الموظفين على مبدأ اللوائح والقوانين..وليس على مبدأ مجرد الاستظراف من صاحب العمل للعامل الذى عنده.. فياويل العامل فى القطاع الخاص إن كان دمه ثقيلا على قلب صاحب العمل..

أخيرا نجا عبد الله من سـخرة القطاع الخاص وأصبح موظفا فى القطاع العام..

إن لكلمـة القطاع العام والوظيفة الحكومية سـحرا خاصا فى نفس المواطن العربى..

لأن بجانب المرتب الضعيـف توجد هناك امتيازات كثيرة.. فهناك تأمين حقيقى على صحته وطرق قانونية يحصل بها على العلاج والدواء المجانى المدعوم من الدولة..

كما أن هناك علاوات وحوافز ثابتة لا تتغير، وهناك مكافآت نهايـة الخدمة وهو مبلـغ ممتاز من الممكـن أن يمارس به أى مشروع..

ويكفى أن له معاشا سوف يظل يحصل عليه فى شيخوخته وينتفع به أولاده من بعده..

وبدأت حياة عبد الله تتحسن وتشعر أسرته بالاستقرار..

- شد حيلك يا عبد الله يا ابنى.. انت كبرت وعايزين نختار لك عروسة ونجوزك وأفرح بيك.
- إن شاء الله يا امى، أنا ممكن أعمل طلب قرض وآخد مبلغ مش بطال.

- وينفع ده قانونا يا عبد الله؟
- طبعا أنا لى فى الوظيفة أكتر من أربع سنين ومن حقى آخد قرض حسن طويل الأجل.

فى اليوم التالى كان عبد الله جالسا على مكتبه وهو يسأل زميله فى العمل..

- أنا عايز أقدم على قرض يا إبراهيم.. ياريت تعرفنى أقدمه لمين وأجيب طلب القرض إزاى؟
- قرض إيه بس يا عبد الله.. انت معرفتش الكارثة اللى نزلت علينا
- كارثة إيه على الصبح , خير؟
- الشركة بتاعتنا اتخصخصت
- يعنى إيه اتخصخصت يا إبراهيم؟
- يعنى اتباعت لواحد مستثمر وهتبقى قطاع خاص.

فانتفض عبد الله واقفا وقد أصابه الفزع..

- إيه اللى انت بتقوله ده.. ده مستحيل.. دى شركة قطاع عام يعنى ملك الحكومة، يبقى اتباعت إزاى!
- ما هي الحكومة اللى باعتها يا عبد الله.. باعتها لواحد غنى

من رجال الأعمال المستثمرين ودى مش أول شركة حكوميه تتباع على فكرة.

- طب واحنا مصيرنا إيه؟؟
- يا عالم بقى.. صاحب الشركة الجديد يااما يطردنا يااما يخلينا.. وممكن يسرح نصنا فى الشارع ويخلى اللى هو عايزهم بس.. ربنا يستر.

وبالفعل حدث ما كان يتخوف منه عبد الله فقد تم فصله مع مئات العمال الذين تم فصلهم من الشركة بحجة أنهم زيادة وعبء على حاجة العمل..

ولم يحصلوا على أى مستحقات أو مكافئات لهم وانتهت كل آمال عبد الله وتبدد حلم المعاش..

وشعر بالضياع فقد كانت هذه عاشر وظيفة يخسرها بعد أن يلتحق بها بعناء ومشقة.. ووجد نفسه يسير فى مقدمة العمال الثائرين المطالبين بحقوقهم الضائعة..

وفى لحظات الغضب تقاذفت بعض الحجارة على نوافذ الشركة.. كانت الأنفس الغاضبة والأيادى التى تعبت من كثرة العمل على استعداد لعمل أى شىء للثأر لكرامتهم..

فما أصعب جرح كرامة العامل عندما يجد نفسه مطرودا فى الشارع وممنوعا من دخول الصرح الذى بناه..

وفى دقائق معدودة تطورت الأحداث بسرعة ليتحول الموقف إلى عربات شرطه تحيط بالجموع الذين أصبحوا مخربين بعد أن كانوا عمالاً وموظفين..

ووجد عبد الله نفسه فى قسم الشرطة هذه المرة بتهمة التجمهر والتخريب لمنشآت عامة..

نظر إليه ضابط الشرطة من بين باقى المحجوزين وراح يتأمله..

○ انا شفتك فين قبل كده.. شفتك فين...شفتك فين..

وصمت عبد الله وهو يبتلع ريقه خوفا من أن يتذكره الضابط فيضعه فى خانة مريرة اسمها..(السوابق)، وتكون النتيجة أن يعامل معاملة المجرمين وينفقد الأمل فى الخروج من هذه القضية..

ثم راح الضابط يواصل أسئلته له..

○ انت اسمك إيه؟

○ اسمى عبد الله.

○ انت متعلم يا عبد الله؟

○ أنا بكالوريوس تجارة.

○ انت حدفت طوب على الشركة يا عبد الله؟

○ لا أبدا يا أفندم أنا كنت بهتف بس.

○ وإيه اللى مشاك مع الناس دى وكنت بهتف ليه؟

وأخذ عبد الله يسرد له مشكلته وكيف أنه تم خصخصة الشركة وتم فصله هو ومئات العمال.. وفجأة قاطعه الظابط..

○ أيوه.. افتكرت.. مش انت اللى كنت ممسوك عندى من فترة فى قضية ضرب رئيس قسم فى شركة تانية؟

وشعر عبد الله بدوار فى رأسه وانهال العرق من جبينه ولم ينطق بكلمة وهو يرى الضابط يقوم من على مكتبه ويتجه نحوه ويسأله فى عصبية..

○ اتخرست ليه.. انطق.. انت ولا مش انت؟

○ لا لا مش أنا.

○ طيب خده يا مغاورى واعمله فيش وتشبيه حالا.

○ لا بلاش مغاورى , أيوه هو أنا

○ ده انت متخصص بقى.. احكى لى إيه حكايتك بالصبط.

ولم يجد عبد الله مفرا سوى أن يحكى للضابط كل قصته من بدايتها بكل ما فيها من آلام وأوجاع..

وعلى عكس مـــا كان يتوقع عبد الله من هذا الضابط صاحب الصوت الأجش والملامح القاسية والشارب الغليظ الأحمر.. وجد منه تعاطفا وقلبا رقيقا جدا يختبئ خلف هذا الوجه المتجهم..

- ياخبر يا عبد الله.. أنا مشـفتش حد فى الدنيا حظه وحش زيك.
- رغـم إنى من صغرى متفائل جدا وكنت بتخيل إنى هوصل لأعلى مكان.
- ما هو انت هنا أهو فى أعلى مكان.. هو فى أعلى من قسـم الشرطة يا رجل..

وضحك الضابط بشـدة وضحك معـه عبد الله ضحكا ممزوجا بمرارة..

- المشـكلة يا عبد الله إننى مصدقك ونفسى أساعدك لكن لازم أنفذ القانون.
- نفذ يا أفندم نفذ.. كده كده أنا انتهيت.
- علـى العموم يا عبد الله أنا بـردو هقف جنبك.. هعمل لك

محضر يطلعك من القضية براءة.. وهحجزك كام يوم وتخرج بكفالة بسيطة.

- متشكر يا أفندم.
- خده يا مغاورى على الحجز.. اتفضل معاه يا عبد الله.

فأخـذه مغـاورى من يـده بطريقة مهذبة وبدون كلابشـات علـى غير عادته مع باقى المتهمين وقد لاحظ اهتمام الضابط به وتعاطفه معه..

وقبـل أن يخرج عبد الله من غرفـة التحقيق التفت إلى ظابط المباحث قائلا فى نبرة استعطاف..

- أرجوك يا أفندم طلب واحد بس من فضلك.
- خير يا عبد الله عايز إيه؟
- ياريت تحبسنى حبس انفرادى فى زنزانة لوحدى.
- وليه كده يا بنى.. ده احنا بنعاقب المسجلين خطر بالحبس الإنفرادى ده!!
- حضرتـك بتعاقبهم بكده بعد ما بيكونوا خلصوا على الغلابة اللى زى حالاتى فى الزنزانة الجماعية..

فارتفع صوت الضابط بضحكات عالية..

○ مـا هو أنا ممكن أوصي عليك فى الحجز أن محدش يكلمك أو يضايقك.

○ لا يا أفندم أرجوك.. لو وصيت علي فى الحجز هيقولوا معايا واسطة ويكرهونى والطريحة هتزيد.. حضرتك مجربتش نظام الحبس.

○ خلاص يا عبد الله انت كمان هتحبسـنى.. زى ما تحب يا سيدى.. خده يا مغاورى على الحبس الانفرادى.

وخـرج عبد الله من الحجز بعد أن دفع الكفالة.. وسـار فى الطريـق المظلم فى هذا الحي الصامت الهـادئ الذى يوجد به قسم الشرطة..

وأخذت الأفكار والوسـاوس تتلاحق فى رأسه.. يا ترى ماذا سيكون مصيره.. وإلى أى مكان سيذهب الآن.. هل يعود إلى أمه واخوته الصغار بخيبة أمل للمرة المليون..

وماذا سـيفعل عندما يعود.. هل سيرتمى كالجثة المتعفنة مره أخرى على سريره؟..

وراح منظـر غرفته وسـريره وأيـام مرضه يتمثـل فى ذهنه ومخيلته..

وأخذ يعذب نفسه بهذه الأسئلة.. ما ذنب أمه المسكينة أن ترعى وتنفق على فاشل مثله.. ما ذنب أخته وفاء التى تشقى وتعمل لتطعمه وهو نائم كسيح..

ما ذنب أخوته الصغار الذين سيتعذبون برؤيته مريضا ومجنونا، بدلا من أن يكون لهم مكان أبوهم الذى مات وتركهم صغارًا..

لماذا لا يبقى هنا فى الشوارع يلتقط طعامه من المزابل كالكلاب الضالة.. وينسى أهله وأصحابه ومع الزمن سينساه الناس جميعا.. فما قيمته أو جدواه حتى يبحث الناس عنه..

كان أشد ما يعذبه هو توقعه وانتظاره لهذه الحالة المرضية التى نزلت به قبل ذلك فى كارثه أقل بكثير مما هو فيه الآن..

هذا الشعور بأن صداع مزمن يهبط على رأسه فجأة، ودوار عنيف يجره إلى الأرض جرا ويدخله فى عالم النوم رغما عنه..

إن هذا الشعور لابد أنه سأتيه ويحل على رأسه الآن.. فهى أزمة مرضية تصاحبه كظله عند حدوث أى فاجعة له.. وأى فاجعة أكبر مما هو فيه..

ولكـــن الغريب أن هذه الحالة لم تأتـــه ولم تنزل به كما كان يتوقع.. فكان عبد الله يقول فى نفســـه ربما سأشعر بهذا الدوار الملعون بعد قليل أو بعد ساعة أو ساعتين..

ولكـــن مرت ســـاعة وســـاعات وأيـــام لم يصبـــه أى دوار أو مرض..

لم يكن يعرف أن جســـده ونفسيته قد أخذت مناعة وتبلدت أمـــام الصدمات من كثرة ما تعرض لها واعتـــادت عليها.. لقد أصبح فى نفســـه مثـــل التطعيم واللقاح ضد الانهيـــار أمام هذه الكوارث.. فتعجب عبد الله أنه وجد فى نفســـه قوة وصلابة لم يكن يعتاد عليها..

سارت أحداث الحياة بعبد الله رغما عنه كالقطار الذى يجرى بالراكب دون استئذانه..

وهداه تفكيره إلى أن يعمل مشروعا خاصا به..

فإن ســـنه قـــد كبرت وأصبحـــت فرصته فـــى الحصول على وظيفة حكومية أخرى شـــبه مســـتحيلة.. وقد جرب حظه فى القطاع الخاص أكثر من مره وفشل فيه وكانت دائما عاقبة عمله السجن..

فلمـــاذا لا يصنع هو مشـــروعا صغيرا يكون هو ســـيده ومالكه دون أن يتحكم فيه أحد ســـواء الحكومة أو المستثمرين أصحاب الشركات..

- إيه رأيك يا أمى أنا فكرت أعمل مشروع صغير لحسابى.
- مشروع إيه يا عبد الله؟
- هعمل عربية بيع هدوم وأقف بيها فى العتبة.
- طيب وهتجيب يا ابنى الهدوم منين.
- ســـهلة.. هســـافر بورســـعيد أجيب من هناك الهدوم البالة والرخيصة وأرجع بيها هنا وأبيعها على عربيتى.
- لكـــن يـــا ابنـــى انت متعلـــم ومعـــاك شـــهادة.. يعنى دى أخرتها.
- مـــش مهم يا أمى الكلام ده دلوقت المهم هجيب منين تكلفة العربية وتمن الهدوم.
- أختك وفاء معاها قرشـــين من شـــغلها ممكن تسلفك، وأنا يا ابنى لو معايا مش هتأخر عليك انت عارف..
- كتر خيرك يا أمى.. فلوس وفاء مع قرشـــين هاســـتلفهم من محسن ممكن يعملو المشروع.

وبالفعـل أصبـح عبد الله يمتلك عربة متجولـة ومعلق عليها أصنـاف مـن الملابس الحريمى وملابس الأطفـال يقف بها فى ميدان العتبة..

ولم يصل عبد الله إلى هذا الانجاز بسـهولة.. وإنما كان بعد مغامرات شـاقة فى تكملة المبلغ المطلوب والسـفر إلى بورسعيد مرات ومرات..

وشـراء العربة – النص عمر – وآلاف التذلالات والتوسلات لكبار التجار المسيطرين على حركة البيع والشراء فى العتبة كى يمنحـوه مكان – نمرة – بجوار الرصيف كـي يقف عليه وقد اتضح له أن الوقوف على رصيف فى العتبة أصعب من الوقوف على رصيف سوق بورتا بورتيزى فى إيطاليا..

فى وسط زحام العتبة.. والضجيج المتلاحق الذى لا يهدأ ليلا ولا نهارا..

آلاف الناس يذهبون إلى هناك يوميا فى شكل كتل بشرية ملتحمة لا تستطيع أن تفصل جسد إنسان عن الآخر من شدة الزحام..

عيون الزبائن طائشة متقلبة تتلفت سريعا هنا وهناك بحثا عن أى سلعة رخيصة يكون فى استطاعتهم شراؤها..

والفصال هناك وشـجار الزبائن مع البائعين أمر معتاد جدا.. بـل هو من لوازم وضروريـات هذه الرحلة التسـويقية.. فلابد للزبون من الكفاح حتى يحصل على أقل تخفيض فى السـعر.. فـإن الجنيه وربع الجنيه مهم جدا عند هـذه الطبقة الفقيرة.. ولابد للبائع من المحاولات المسـتميتة للحصول على أعلى ربح ممكن يعود به لأولاده..

وفى النهاية يرضى المشـترى بأقل سلعة طالما أنها رخيصة.. ويرضـى البائـع بأقل ربـح المهم أن لا يرجـع إلى أولاده خالى الجيوب صفر اليدين. وهكذا هى العتبة..

ولم يجد عبد الله حلا لكى يعلن عن وجوده وينجح فى بيع بضاعتـه أمام هذا الصخب الهائل سـوى أن يشـترى مكرفونا ويقف فـوق عربته ويتخلى عن كبريائه ثـم يتراقص ويقفز فى بهلوانية وهو يزعق فى الميكرفون بهذا الهتاف الشهير..

❍ باتنين ونص.. وتعالى وبص!!

وانغمس عبد الله فى حركة البيع والشراء يربح أحيانا ويخسر أحيانـا، ودارت عجلـة الحياه بعبد الله وقـد أصبحت عربة الملابس هى كل شىء فى حياته..

حتى أتى ذلك اليـوم الذى رآها فيه..لم يكن يعرف أن هذه الفتاة ستقلب حياته رأسا على عقب وأنها ستأخذه إلى طريق لم يخطر بباله فى يوم من الأيام..

بينما كان هو منهمك فى البيع للزبائن لاحظ هذه الفتاة التى تقف بين الزبائن أمام عربته.. كانت تقلب فى الملابس الحريمى الموجودة أمامها.. مع أن لها هيئة أرستقراطية توحى بأنها من طبقة ميسـورة الحال.. ولا يناسـبها أبدا هذا النوع من الملابس البسيطة التى تحمل جميعها ماركات مجهولة الصنع..

لفـت نظره ثيابهـا التى ترتديها والتى يبـدو أنها من أغلى وأجود الماركات.. وبشـرتها البيضاء الناعمة التى توحى بأنها من أهل الترف والرفاهية..

رفعت عينيها إليه بعد أن تأكدت أنه ينظر إليها منذ فترة , وقالت له فى رقة مبالغ فيها وهى تشير إلى كوم من الملابس قد وضعت يدها عليه..

○ أنا اخترت دول حلوين.. بكام؟

فأطلـق عبـد الله ثمنا مرتفعـا كعادة البائعين ظنـا منه أنها سـتجادل معه فى السـعر.. ولكنها أخرجـت من حافظة نقود

ذهبية اللون كانت فى يدها مبلغا كبيرا وأعطته له..

○ دول كتير يا هانم.. ثوانى أجيب لك الباقى

○ لا خلاص شكرا، دول علشانك

وانصرفت وهى تبتسم له بعينها إبتسامة حلوة يملأها الإعجاب..

أخذ عبد الله يرقبها ببصره بعد أن انصرفت حتى غابت عنه فى الزحام..

وظل عبد الله يفكر فيها طوال يومه.. ترى من تكون هذه الفتاة صاحبة العيون الصافية الجميلة، ولماذا تشترى منه بهذا السخاء غير المعتاد فى مثل هذه الأماكن..

وبعد يومين بينما كان عبد الله يقفز ويصيح فوق عربته ويعلن عن بضاعته رآها من بعيد مقبلة نحوه مرة أخرى.. لم يصدق نفسه وفرك عينيه فى اندهاش حتى اقتربت وتأكد بالفعل أنها هى..

استقبلته بضحكة عذبة وكأنها أتت لتكلمه وتتعرف عليه لا لتشترى منه..

○ أنا خلاص بقيت زبونتك وباين علىّ أدمنت الحاجات بتاعتك.

فتـــح عبـــد الله فمه وعينيه فى ذهول وهـــو لا يصدق أن هذه الفتاة الجميلة تحدثه هو.. ثم حاول أن يستجمع أحلى ما عنده من كلمات..

○ أنا تحت أمرك والبضاعة كلها تحت أمرك يا ســـت الكل.. دقيقة واحدة هجيب لك حـاجة ساقعة.

○ لا لا ميرسى جدا أنا مش فاضية , أنا عايزاك تختار لى كذا طقم على ذوقك وتاخد اللى انت عايزه .

فنزل عبد الله من فوق العربة وهو يشـــيح بيده لباقى الزبائن فى إشـــارة توحى لهم أنه غير مســـتعد للبيـــع لهم أو الحديث معهم الآن..

مما دفع امرأة منهم أن تقول له فى غضب وغيرة واضحة :

○ واحنـــا مـــش عاجبين يعني ولا إيه ، لو مـــش عايز تبيع لنا فى غيرك.

○ يا ريت يا ســـت انا مـــش فاضيلكم دلوقت , اتكلو على الله مع السلامة.

وبالفعـــل انصرف الزبائن من أمام عربة عبد الله ليقف وحده مع هذه الفتاة التى سلبت منه عقله ومشاعره..

وأخـذ ينتقى لها أجود مـا عنده من هـذه البضاعة الرديئة ويعرضهـا عليها بطريقـة أصبحت أقرب للغـزل وليس للبيع والشراء..

- إيـه رأيك يا هانم فى الطقم ده، لونه غامق وعلى بشـرتك البيضا هيبقى تحفة.
- تعرف أن ذوقك حلو.

وتـاه عبد الله فى عذوبة صوتها والحديث معها .. حتى أنه لم يطلب سـعرا محددا لبضاعته عندما سألته عن ثمنها , وكان على أتم الاسـتعداد أن يعطيها كل بضاعته مجانا.. فقد منحته شعورا لا يقدر عنده بثمن ولذلك اكتفى بكلمة..

- اللى تجيبيه يا هانم.

وكمـا حدث فى المرة السـابقة دفعت له ثمن الملابس وفوقها زيادة كبيرة ثم فاجأته بما لم يكن يتخيله..

- ده رقم موبايلى سجله عندك.. أنا ممكن أحتاج منك حاجات كتير قصدى يعنى أطقم وهدوم..
- أسجل الاسم إيه؟
- ندا.

وانصرفت من أمامه.. ولا يعرف عبد الله كيف ترك بضاعته وعربته ومشى خلفها دون أن تشعر..

فقد كان يشعر بغموض وجاذبية فى هذه الفتاة تدفعه إلى أن يعرف عنها أى شىء.. وبالفعل قد زاد الغموض عنده والحيرة عندما رأى ندا تعبر الطريق المزدحم ثم تتوجه نحو سيارة حمراء أحدث موديل وتفتحها ثم تلقى بما معها من حقائب فى المقعد الخلفى.. وتقود سيارتها وتنصرف..

زادت التساؤلات فى عقله.. ما السبب فى أن هذه الفتاة الجميلة الثرية تشترى ثيابا من الباعة المتجولين فى العتبة..

وما سبب اهتمامها به..

إن عنده شعور يقينى أنها تبادله الإعجاب.. فكيف لفتاة فى هذا المستوى أن تعجب ببائع متجول مثله.. ولكن عقله سرعان ما وجد إجابة لكل أسئلته..

إنه شاب متعلم وله قدر من الوسامة والرجولة الواضحة.. ولابد أن تكون هذه الحسناء لماحة وذكية جدا فربما تكون قد أتت مرة لميدان العتبة لغرض معين غير شراء الملابس أو ربما تكون صاحبة بوتيك قريب من هذا المكان فرأته بالصدفة

فأعجبـــت به ولم تقاوم جاذبيته.. فأصبحت تتردد عليه بحجة شراء الملابس..

وبغـــض النظر عن خطأ كل تحليلات عبد الله لكن المهم أنها انصرفت وقد احتلت عقله ووجدانه.

لم يعكر صفو حياة عبد الله ســوى هذه المصائب التى تبحث عنه من فترة لأخــرى وكأنها بالون عقده القدر بقدميه بحبل.. تسير خلفه حيث سار..

فقــد اختلت منظومــة تجارته عندما تم القضاء على الســوق الحرة فى بورسعيد.. وفقد المكان الذى كان يجلب منه البضائع السهلة الرخيصة..

واضطر عبد الله أن يقترض ويستدين من التجار حتى يستطيع الحصــول علــى بضاعة من موارد أخرى أغلــى فى أثمانها من بضائع بورسعيد بكثير..

وحــدث ما لم يكن فى حســبانه.. بينما كان فــى ليلة واقفا على عربتــه يبيع للزبائن فوجــئ بالجميع يجرى فى فــزع ويهرول من حوله..

كانت كلمة (البلدية) بمثابة قنبلة بمجرد أن تنطلق حتى يفزع جميع التجار ويسرع كل واحد بأن يجمع بضاعته فى صرة على ظهره ويفر هاربا..

لم يكد عبد الله يستوعب ما يحدث ويبدأ فى جمع بضاعته حتى فوجئ بسيارة الشرطة وسيارة البلدية تقف عنده..

وفى لمح البصر قفز رجال البلدية والحى وحملوا بضاعته وعربته الخشبية وألقوها فى صندوق سيارة البلدية.. وتم إلقاء القبض عليه وقذفوه داخل سيارة الشرطة..

اندهش ضابط المباحث وهو يرى عبد الله أمامه للمرة الثالثة وقد تم القبض عليه بتهمة إشغال الطريق العام..

- إيه يا عبد الله حكايتك هو أنا مش ورايا غيرك.
- أنا مش عارف يا فندم الحكومة على طول زعلانة منى ليه.
- بردو يا عبد الله كده.. انت رجل متعلم وخريج كلية تقبل على نفسك تخالف القانون وتشتغل بياع متجول سريح على عربية ومن غير رخصة!!
- أنا بشتغل فى شغل حلال وشريف علشان أقدر أعيش بما يرضى الله.

- طيب انت هتشرف معانا كام ليلة فى الحجز وبعدين هفرج عنك بضمان محل إقامتك.
- طيب والبضاعة يا أفندم.. ده أنا مديون بتمنها.
- لا دى مش مسؤليتى البضاعة اتصادرت ومشكلتك مع البلدية والمحافظة.
- طيب ممكن يا أفندم طلب أخير.
- عارفه يا عبد الله.. الحبس الانفرادى مش كده.
- بالظبط يا أفندم
- كان علـــى عينى يا عبدو.. الزنازيـــن الإنفرادى عندنا كلها مشغولة المره دى.. معلش بقى استحملنا شوية.

جلس عبد الله على المقهى شـــارد الذهن، يشـــرب أكوابا من الشاى لا يعرف عددها.. ويفكر كيف سيسدد ما عليه من ديون للتجار بعد أن خرج من حبسه وفشل فى استرجاع بضاعته..

إن عليـــه شـــيكات وكمبيالات لابد أن يدفعهـــا.. طلب كوبا جديدا من الشاى بعد أن فرغ الذى أمامه..

وقـــف القهوجـــى أمامه بالصينية وأخذ يقلـــب له ويلمح له بطلب الحساب..

○ ده خامس طلب شاى يا معلم عبد الله.

مد عبد الله يده إلى جيبه ليخرج له الحساب.. فإذا به يجد هاتفه المحمول يرن فى جيبه..

أخــرج الهاتف وبمجــرد ان نظر فيه هب واقفــا فى ارتباك شــديد فاصطدم بالقهوجى الذى سقطت الصينية من يده ورأى عبد الله يجرى على الرصيف والهاتف فى يده..

لقــد كان اســم ندا هو الــذى ظهر على هاتفــه فأصابه بهذا الارتباك المفاجئ..

رفــع الهاتف على أذنه دون أن يفتح الخــط.. ثم عاد ففتح الخط..

○ ألــو.. أيوه يا ندا هــانم.. حاضر هجيب لحضرتك كل اللى انتى عايزاه وهكون موجود فى الميعاد..

طلبــت منه أن يحضر لها بعض الأطقــم ويقابلها فى إحدى الكافيهات..

ولم يستطع عبد الله أن يحضر أى طقم لأنه صار مديونا لكل التجار.. ولكنه قد لبس أفضل ما عنده وراح قبل الموعد بعشــر دقائق..

لم يصدق نفسه وهى جالسة أمامه تحكى له عن حياتها وعن عائلتها العريقة وأهلها ذوى المناصب والنفوذ..

سألها عن سر شرائها هذه الأثواب المتواضعة من العتبة..

وأجابته بما كان يتمناه ويحلم به.. إنها لا تحتاج إلى هذه الثياب فى شىء وأنها تعطيها لبعض الفقراء بمجرد أن تشتريها.. ولكن السر فى هذا الأمر أنها معجبة به جدا وقلبها يخفق بحبه.. وموضوع الملابس مجرد حجة لتراه وتتعرف عليه..

كاد عبد الله أن يطير ويحلق فى السماء من السعادة.. ها هى الدنيا ترضى عنه أخيرا وتفتح له ذراعيها بأوسع ما يكون.. إن هذه الفتاة الغنية الجميلة سوف تمنحه الحب والزواج والسعادة وكل شىء يتمناه..

أخذ يحدثها عن نفسه ومؤهلاته وتجاربه الناجحة فى الحياة العملية.. ثم سألها..

○ ممكن أعرف منك يا ندا إيه سبب إعجابك بى؟

وجاءت الإجابة منها غريبة وصادمة..

○ جسمك.

قالتها وهى تنظر نحوه فى شـــراهة واضحة كما ينظر الذئب إلى فريسته..

- على فكرة انتى جريئة جدا انتى تقصدى إيه بالظبط؟
- لا انـــت فهمتنـــى غلط.. أنا قصدى يعنـــى إنك لفت نظرى أول مرة لما شفتك عمال تتنطط على العربية.. ولاحظت أنك بتهتم برشاقة جسمك وصحتك ودى حاجة كويسة..
- بـــردو مش فاهمك يـــا ندا.. فى ناس كتير جدا أجســـامهم وصحتهم كويسة..

نظـــرت إلى الأرض واكتســـى وجهـــا فجأة بالحـــزن وهى تقول..

- لكن أنا مش من الناس دول يا عبد الله.
- ليه يا ندا انتى أجمل إنسانة شفتها.
- لكـــن الحقيقة يـــا عبد الله إن أنا مريضـــة.. ومريضة مرض خطير كمان..
- مريضة إزاى؟ عندك إيه طمنينى؟

وضعت يدها على وجهها وانفجرت فى البكاء وقامت مسرعة من أمامه..

ولم يخطر ببال عبد الله أبدا أن هذه الجلسة سوف تكون نهاية صحته هو إلى الأبد..

وظل عبد الله طوال ليله مشغولا يفكر فى ندا..

هذه الفتاة الجميلة الحزينة المريضة.. ترى ماذا يكون طبيعة مرضها..وكيف لم تستطع علاج نفسها وهى من أسره ثريه تمتك المال والنفوذ؟

بالتأكيد انه مرض خطير تعجز أمامه الأموال.. وأحس عبد الله بمزيج فى داخله من شعور بالعطف والحب نحو هذه الفتاه الغنيه والمسكينه فى ذات الوقت..

ولكنه شعر بشىء من الارتياح.. ان بذلك تكون الكفة بينهما متوازنه.. فإنه من المستحيل ان يكون كفؤا لهذه الفتاه الحسناء الغنية سلالة الأسر العريقة وهو شاب فاشل معدم يعمل بائعًا متجولاً..وأمامها مئات الشباب فى مثل مستواها الاجتماعى..

ان المرض هنا يجعل هناك سببا منطقيا لكى تحبه هذه الفتاه وترضى به.. كما ان عامل المرض هو عامل مشترك بينهما فكم قاسى هو من المرض النفسى طوال حياته.. وان كان هو يخفى

عنها هذا السر.. الا انه فى الوقت المناسب بعد زواجهما سوف يحكى لها هو الاخر عن هذا الامر..

فما اجمل ان تبوح بأوجاعك لمن يشاركك فى مثلها ويشعر بما تشعر به من الالم..

لابد اذا ان يقف بجوارها ويساعدها بكل قوه.. فهذا اقل شىء يفعله الإنسان اذا احب..

وأمسك عبد الله بهاتفه واتصل بها..

- ندا.. ليه مشيتى فجأة بالطريقة دى.
- أنا إنسانة محكوم علىّ بالموت يا عبد الله.. حرام أعذبك معايا.
- صدقينى أنا مريت بظروف اصعب منك وكنت بتمنى الموت.. لكن كل شىء بيعدى فى النهاية.
- كلامك بيصحى فى الأمل تانى.
- طيب ممكن تقولى لى إيه طبيعة المرض اللى عندك؟
- أنا عندى فشل كلوى يا عبد الله وفى حالة متأخرة جدا.
- طيب مافيش علاج او عملية مثلا.. أكيد الطب عنده حل؟
- مافيش أمل يا عبد الله إلا فى حالة واحدة.

- إيه هى؟
- إن حد يتبرع لى بكليته.

صمت عبد الله لوقت وجيز ثم سألها..

- طيب يا ندا ولو حد اتبرع لك بكلية ده هيأثر على صحته؟
- لا أبـدا بالعكـس يا عبد الله.. علميا الإنسـان ممكن يعيش بكلية واحدة وبربع كلية كمان ويمارس حياته طبيعى جدا.
- اطمئنـى يا ندا أنا هقف جنبك وإن شـاء الله هتخرجى من أزمتك.

ولم يأخـذ عبـد الله وقتا كبيرا فى التفكـير حتى عزم الأمر واتخذ قراره.. وعاود الاتصال بها مرة أخرى.

- اسمعى يا ندا.. أنا قررت أتبرع لك بكليتى.
- بجد يا عبد الله أنا مش مصدقة نفسى.. نظرتى فيك طلعت فى محلها.. انت شهم جدا ومخلص و..
- أنا بعمل كده يا ندا علشان حبيتك.
- وأنا كمان يا عبد الله بحبك فوق ما تتخيل.. بص يا عبد الله هقولك على حاجة بس اوعى ترفض أو تفهمنى غلط.
- حاجة إيه؟

○ أنا كنت ناوية أدفع مبلغ عشرين ألف جنيه تعويض للإنسان اللى هيتبرع لى بكليته والمبلغ ده هيكون من نصيبك..

○ اوعى تقولى الكلام ده مرة تانية.. أنا بعمل كده عشان حبيتك وبس.. علشان الإنسانة اللى هتكون مراتى وشريكة عمرى..

○ طبعا يا عبد الله أنا منتظرة اليوم ده بفارغ الصبر .. ممكن أشوفك بكره ونتكلم براحتنا.

وبعد عدة لقاءات بين عبد الله وندا فى مجموعة نوادى وكافيهات مختلفة كان هذا اللقاء الأخير بينهما فى هذه العيادة الخاصة الأشبه بالمستشفيات الاستثمارية..

○ اتفضل يا عبد الله اطلع الدور التانى.. أوضة العمليات جاهزة

○ طيب وانتى يا ندا؟

○ أنا.. أنا هكون جنبك فى الأوضة التانية.

كان هناك اثنان من الأطباء الذين استقبلوا عبد الله بحفاوة بالغة.. وأدخله أحدهم إلى غرفة العمليات بسرعة، بعد أن حصلوا منه على توقيع بإقرار أنه موافق على إجراء هذه العملية وعلى مسؤليته الخاصة..

وفى لمح البصر كان فى غياهب البنج..

أفاق عبد الله من البنج ليجد الدكتور فوق رأسه..

- حمد لله على السلامة يا بطل شد حيلك علشان كلها شوية وتقوم تروح.
- طيب أنا حالتى عامله إيه يا دكتور؟
- زى الفل كله تمام.
- طيب وندا؟
- ندا مين.. آه ندا كويسة جدا زى الفل.

خرج عبد الله فى الصباح من غرفته وهو ممسكا بجانبه الذى نزعت منه كليته.. وأخذ يستند إلى الحائط وهو يجر قدميه بصعوبة.. نظر إلى الغرفة المجاورة له فلم يجد فيها ندا..

هبط إلى الطابق الأسفل وسأل العامل الموجود..

- هو فين المريضة اللى كانت فى الأوضة فوق؟
- أنا معرفش حد كله مشى والدكاترة كمان، وانت كمان لازم تمشى دلوقت علشان فى عيانين حاجزين وعلى وصول.

وفى الطريق حاول عبد الله الاتصال عليها أكثر من مرة ولكن كان هاتفها مغلقًا باستمرار..

لم يقو على السير وأحس بألم رهيب يعتصر جانبه فتوجه إلى المستشفى التى كانت بالقرب منه وبمجرد أن وصل إلى بابها شعر بدوار شديد فى رأسه..

أخبره الطبيب المختص أنه يحتاج إلى التبرع بالدم فقد كان يعانى من هبوط حاد بالدورة الدموية نتيجة نزيف عقب العملية..

وفى قسم التبرع بالدم سمع عبد الله عجب العجاب واكتشف أنه يعيش فى زمن دراكولا ومصاصى الدماء..

نظر التمرجى فى الورقة التى فى يده بخط الدكتور وقال بصوت أجش..

○ هجيب لك دم منين.. الدكتور مدحت ده بيتكلم على كيفه.. ماهو عارف أن بنك الدم عندنا فاضى..

ثم مال التمرجى على أذن عبد الله..

○ بص أنا ممكن أتصرف لك فى كيس أو كيسين.. على مائة وخمسين جنيه الواحد بس حاجة نضيفة.. إيه رأيك معاك تدفع؟

○ معايا معايا.. هدفع.

وتمـــدد عبـــد الله على الســـرير وقد غرزت الإبـــرة فى وريده لتسكب فيه هذه البضاعة العزيزة النادر وجودها..

كان بجواره على الســـرير الآخر شخصا كاشفا ذراعيه يتبرع بدمـــه.. كان هناك وشما على ذراعـــه يعرفه عبد الله جيدا من أيام الزنزانة.. إنه وشـــم المسجلين خطر.. وكان يبدو على هذا الشخص علامات الإدمان..

لاحظ ان عبد الله ينظر إليه فبادره بالكلام..

- مساء الخير يا أخ.
- اهلا وسهلا صباح النور.
- هـــو إحنـــا الصبح ولا إيه.. ماشـــى.. انت جـــاى تدى ولا تاخد؟
- أدى إيه واخد إيه!
- يعنى جاى تدى دم ولا تاخد دم..وشـــك أصفر.. باين عليك جاى تاخد.

أيوه فعلا أنا جاى آخد.

- عطوك الكيس بكام؟
- ميه وخمسين جنيه.

○ يا ولاد النصابة.. انت بتشتغل إيه.

○ أنا بياع ببيع هدوم.

○ وأنا كمان بياع ببيع دمى.

ثم انفجر هذا الرجـــل فى الضحك بصوت عالٍ جدًا لا يخلو من التكلف الشديد وعاود حواره مرة أخرى مع عبد الله..

○ بـــص لو احتجـــت.. دم.. كلية.. قلـــب.. أى حاجة.. ده تليفونى اتصل بى.. أنا اسمى زيكو..

○ تعرف يا زيكو أنا لسه متبرع بكليتى دلوقت.

فالتفـــت زيكو بجســـمه كله إلى عبـــد الله وقد تحولت ملامح وجهه وتعبيراته إلى شر صرف وقال له فى حدة..

○ اتبرعت بكليتك ازاى.. ولين.. وقبضت كام.. انت شـــغال لحســـابك ولا مع حد؟.. خد بالـــك المنطقة دى لها كبير.. الحكاية مش سايبة يا حلو..

○ حيلك حيلك.. أنا ما أخدتش ولا مليم.. أنا اتبرعت بكليتى ببلاش.

○ ببـــلاش!! ببـــلاش إزاى.. لا احكـــى لى انـــت حكايتـــك بالظبط.

وأخذ عبد الله يقص له قصته من بداية عمله فى العتبة على عربة الملابس.. وكيف رأى ندا وكيف تعرف عليها واتفقا على الزواج حتى عرف حقيقة مرضها وتبرع لها بكليته..

وبمجرد أن أكمل عبد الله قصته وهو متأثر بها جدا.. انفجر زيكو فى الضحك مرة ثانية...

- هم عملوها فيك يا مغفل!
- هم مين؟
- دول الفريق اللى شـغال مع التابعى.. معاه رجاله وتمرجية وممرضات وحريم تحل من على حبل المشـنقة.. بس تعلب مالوش أمان.
- يعنى إيه مش فاهم يا زيكو؟
- يعنـى يصطادوا المغفل اللى زيك كده ويلعبوا عليه شـوية.. وبعدين يسرقوا كليته.. انت عارف كليتك دى زمانها دلوقت اتباعت بكام , بربع مليون ويمكن بنص مليون كمان.
- مش ممكن.. مش معقول الكلام اللى انت بتقوله ده.. الكلام ده لو صحيح يبقى أنا لازم أجيبها.. لازم أنتقم منها.
- سيبك من الكلام الفارغ ده وتعال اشتغل معانا هتاكل لوز.

- أشتغل معاكم إزاى يعنى؟
- احنا تبع الكبير زينهم باشا.. رجل حقانى ومش بياكل عرق حـد.. وممكن كمان يجيب لك حقـك من البت دى بس لو أثبت وجودك فى الشغل..
- وأعمـل إيه علشـان أثبت وجودى، هو أنـا بقى ليا وجود أصلا.
- يعنى لو جبت زبون يبيع أو يشـترى لك عمولة وسمسـرة حلـوة.. ولـو اتبرعت بحاجة مـن جسـمك هتاخد حقك وانـت واقف.. ولو عرفت تشـتغل فى الجثث بردو مطلوب وهنقدرك.. ويوم ما تتزنق تكيس لك كيسين..يعنى تبيع من دمك كيسين زى ما أنا بعمل دلوقت..
- إيه البشـاعة دى.. هو إحنا عايشين فى غابة.. يا رجل ده الموت أكرم.
- انت بتقول إيه يا جاهل.. ده إحنا بنعمل عمل خير إنسانى عظيـم.. انـت مش عارف إن الدم اللى أنـا ببيعه ده بينقذ عيان بيموت.

إحنا مش بنكسب فلوس بس، إحنا بنكسب ثواب كمان.

وشـعر عبد الله بأنـه فعلا جاهل كما قال عنـه زيكو.. كل

الأحداث التى حدثت له طوال حياته تثبت أنه جاهل..

إن هـذا المدمن خريج السـجون قد فهم الحيـاة أكثر منه هو خريج كلية التجارة.. على الأقل هو يبيع دمه وأعضاءه بمقابل. وأما هو فقد باع كليته مقابل الوهم..

لقد خدعته هذه الفتاه أكبر خدعة فى الوجود باسم الحب.. مـن يصدق هذا.. أن تجلس المرأة مـع حبيبها تتغزل فيه وفى الحقيقـة أن كل مـا بداخلها وهمهـا الوحيد أن تنـزع كليته وأحشاءه..

من الذى خدع البشرية وقال إننا تقدمنا وأصبحنا أهل حضارة فى القرن الواحد والعشرين.. محض كذب هذا الكلام..

إن الإنسان فى أشد عصور البربرية لم يكن يبيع أعضاءه.. لم يكن يتاجر فى لحمه ودمه..

حتى جثث الأموات أصبحت سـلعة غالية الثمن ينتهشـها التجـار، فلا يبقى من جثة الميت فى قبره سـوى الكفن.. كان اللصوص قديما يسرقون القصور.. وإنما الآن يسرقون القبور..

لم تعـد هناك راحة لحي ولا ميـت.. حتى الميت لا يترك لينام فى سلام.. فجسـده إما أن تستلمه المشرحة فتقطعه كما

تشـاء وتوزعه قطعا على طلبة كلية الطب.. وإما أن يوضع فى القبر ليسـرق أو يباع بمعرفة التربى كى يقطع وتوضع أعضاءه فى أكياس حسـب الطلب والحاجة..

إن هنـد بنـت عتبة عندمـا أكلت كبد حمـزة لم تكن بهذه البشـاعة التى فعلتها معه ندا.. فـإن هندا على الأقل كان لها مبررا لما فعلته من وجهة نظرها.. كان لها ثأرا عنده..

وأما ندا فلم يكن لها أى مبرر لما فعلته معه..

إنه لم يقدم لها أى شر حتى تنتزع منه أحشاءه.. لم يقدم لها سـوى الحب والإخلاص.. كان فى نيته أن يتزوجها فدفع لها أغلى مهر فى التاريخ ولم ينل منها سـوى صفعة أثبتت له أنه بالفعل مغفل كبير كما قال له هذا المدمن..

- اسمـع يا زيكو لو حبيت أتبرع بكليتـى الثانية ممكن آخد فيها مليون.
- اسمها تبيع مش تتبرع ,, بطل عبط بقى.
- أبيع ولا أتبرع مش مهم.. المهم أنا عايز مليون ممكن الباشا الكبير بتاعكم يلاقى حد يدفع لى مليون.

- لا.. الكليـــة متجبش مليون.. هو توبها ربع مليون.. لو عايز مليون اشتغل فى القلب.
- طيب وأنا هعيش إزاى لما هبيع قلبى كمان.
- يا عم وتعيش ليه، يعنى من حلاوة العيشـــة.. خلى الورثة ومراتك وعيالك يدعولك وانت فى الجنة..
- أنا لسة مش متجوز يا زيكو.
- يبقى بالراحة على نفســك.. حتة طحال.. شــوية دم.. كده يعنى.. أو اشتغل فى السمسرة هتكسب دهب.

وبعد فترة من الزمن أصبح عبد الله نجما ساطعا فى مافيا بيع الأعضاء..

كان هاتفــه لا يتوقف عن الرن من اتصالات الزبائن.. رجال أعمال ومسئولين فى الدولة وفنانين ومشاهير.. وكل واحد منهم لــه طلبه الخاص الذى يتلهف عليه ولديه الاســتعداد أن يدفع فيه كل ما يملك لينقذ حياته..

وتوسعت الشــبكة التى أصبح عبد الله يديرها بنفسه فأصبح زيكو ســكرتيره الخاص.. وأصبح معه أطباء وسماسرة وحانوتية ولكل عضو فى هذه الشبكة دوره وتخصصه..

فالسمسار يجلب له الزبون أو الضحية التى سيتم سلخها وأخذ أحشاءها.. والطبيب هو من يقوم بعملية نزع الأحشاء سواء كانت كلى أو كبدًا أو عينًا..

وأما الحانوتى فكان متمثلا فى عويس التربى الذى كان بارعا فى توريد الجثث الطازة والتى يتلقفها الأطباء فى سعادة بالغة..

وأصبح عبد الله يمتلك رصيدا فى البنك ودفتر شيكات وسيارة أحدث موديل..

وعندما أصبح له اتصال بعملاء فى أوربا وذاع صيته فى دول الخليج قرر أن يفتح محلا ليكون مقرا مخصصا لهذه التجارة العالمية..

وبالفعل اشترى عبد الله محلا فى وسط البلد ووضع عليه يافطة كبيرة مكتوب عليها.. «محل بيع قطع غيار للإنسان» ووضع بداخلها قائمة بالأسعار..

العين بكذا..

واليد بكذا..

والرجل والكبد والطحال والقلب..

كل عضو آدمى أمامه سعره ودرجة جودته حسب الطلب ومستوى الزبائن..

حتى أتى ذلك اليوم الذى تلقى فيه عبد الله مكالمة هاتفية تخبره بأن والدته سقطت على الأرض وتم نقلها للمستشفى..

أسرع عبد الله إلى غرفة العناية المركزة التى ترقد فيها أمه غائبة عن الوعى وراح يقبل يدها ورأسها ويبكى بحرارة شديده...

كانت كلماته مع الأطباء تفيض أسى وحزن..

- أرجوكم أبوس ايديكم اعملو أى حاجة انقذوا أمى.. أمى لازم تعيش.. لازم تعيش.
- يا عبد الله بيه احنا مهتمين بحالتها جدا لكن الأعمار دى بيد الله.
- أمى عمرها ماشافت ولا يوم حلو.. كل حياتها شقا وتعب.. معقول فى الوقت اللى أنا أتغنى فيه وعايز أعوضها تسيبنى وتموت.. لازم تتصرفوا لازم تعملوا حاجة.
- مش هنقدر نخبى عليك حالتها حرجة جدا!
- يعنى إيه حرجة.. أنا مستعد أدفع أى فلوس.. لو عايزين تعملو لها زرع كبد أو كلى أو حتى قلب أنا موجود عندى وأنتم عارفين.
- المسألة مش كده.. الموضوع أن عندها جلطة وده مش ينفع معاه عمليات الزرع أو نقل أعضاء.

- الـكلام ده كلام فـارغ.. أكيد هى محتاجة نقل دم جديد أو نقل شىء معين علشان تعيش.
- الشـىء الوحيد اللـى ممكن يخليها تعيش هـو عملية نقل روح.. وده المستحيل على البشر.
- لـو ينفـع أنا مسـتعد أتبرع لهـا بروحى حتـى لو هموت مكانها..
- يا عبد الله بيه إذا كان الطب كله عاجز أنه يفسـر إيه هى الروح أو يعرف سـرها.. انت نفسـك متعرفـش روحك ولا تعرف مكانها.

واصطدم عبد الله بهذه الكلمات.. إنه بالفعل لا يعرف روحه.. لقـد عاش حياته كلها ولم يفكر فى يـوم من الأيام ما هى هذه الروح التى يعيش بها..

لم يسأل أبدا عن سر وجوده ونفخة الحياة التى تسرى فى جسده..

وفى هـذه اللحظات خرج الطبيب من غرفـة العناية المركزة وهو يقول له..

- شد حيلك البقاء لله.

وهمس التمرجى فى أذنه..

○ نتصل بعويس الحانوتى يا باشا؟

فصرخ عبد الله فى حالة هستريا شديدة..

○ لا لا لا.. اوعى تعمل كده.. كله إلا عويس.. عويس لا...

ولم تعط الأحداث لعبد الله فرصة كى يحزن على أمه أو يأخذ عزاءها..فقد وجد زيكو مقبلا عليه يجرى مسرعا ، يقول وهو لا يستطيع أن يلتقط أنفاسه..

○ الحق يا عبد الله بيه الوزير اللى اشترى منك كبد لأخوه.. الكبد طلع مش سليم وأخوه مات.. والدنيا مقلوبة عليك والحكومة شمعت المحل..

لم ينطق عبد الله بكلمه وظل صامتا.. حتى نزل من سلم المستشفى وركب عربة الشرطة التى كانت فى انتظاره.. ليجد نفسه أمام ظابط المباحث الذى أصبح بالنسبة له – عشرة عمر.

○ والله زمان يا عبد الله.. تلف تلف وترجع لى.

○ أنا خلاص تعبت من كتر اللف..

○ هتقول إيه المرة دى.. حد فى الدنيا يفتح محل ويكتب عليه بالبنط العريض.. قطع غيار للبنى آدمين.. ده انت قادر أوى.

- هى دى الحقيقة يا بيه.. الفقير فى زماننا أصبح مجرد قطع غيار للغنى.
- وإيــه اللى يخليــك يا عبد الله تعمل كده.. إيه اللى يخليك تشتغل شغلانة زى دى؟
- لأن الإنســان فعــلا بقى محتاج قطع غيــار.. المجتمع كله محتــاج قطع غيــار لأنه خلاص فســد وأصبح على وشــك الهلاك.
- طيب وفكرة قطع الغيار بتاعتك دى ونقل الأعضاء هى اللى أنقذت الناس.
- أبدا وعمرها ماهتنقذ حد.. لأن الناس مش بس محتاجة نقل أعضاء.. الناس أصبحت محتاجة نقل روح.
- يعنى إيه بقى الكلام ده يا عبد الله انت هتخرف تانى.
- الروح.. الــروح اللى فىَّ وفيك ومش قادرين نعرفها.. الروح اللى هى ســر الحياة.. الروح اللى هى نفخة الإله.. هى دى اللى لو اهتمينا بيها هننقذ الناس وتتعدل الحياة.
- نهتــم بيهــا إزاى يعنى.. مــا هى الروح طبيعــى موجودة فينا..

○ لا.. هـــى مدفونة فينا.. لكن إحنا محتاجين روح تتحرك.. تنطلق..

محتاجين روح تعلمنا الطيبة والصفاء والصدق..

روح تلهمنا أننا نحب الناس.. ونبكى على آلام الناس..

مش نشمت فيهم ونضحك عليهم..

روح تزرع الأخلاق فى العلم..

وتزرع الرحمة فى الطب..

وتخلى رجل الدين يفكر قبل ما يكفر..

والسياسى يوفى لما يوعد..

روح تخوفنا من صرخة المظلوم وقطع عيش الناس..

روح ترجعنا من تانى لرب الناس.

○ أيوه بس اللى انت عملته ده كان شغل جزارين.. انت كنت بتقطع فى الناس.

○ النـــاس دبحتنى الأول من زمان وانت عارف.. كنت عايش بينهـــم زى الحمـــام وكل مـــا أقف على شـــجرة يصطادونى ويعذبونـــى ويدبحونـــى.. وعمـــرى مـــا بقيت قـــوى غير لما دبحتهم.

- يعنى كنت سعيد باللى كنت بتعمله؟
- أبـدا عمرى ما عرفت طعم السـعادة حتـى وأنا بنتقم منهم وبقطع فى لحمهم وبعمل ثروة من دمهم بردو كنت حزين.
- طيـب ليه بقى.. إيه حجتك وانـت كنت من أغنى الناس فى البلد.
- أنا اكتشفت أن الإنسان مش مخلوق علشان يلم فلوس وياكل.. لأن أنـا كان عندى ثروة وعنـدى أكل يكفى بلد وعمرى ما شبعت.. الإنسان مخلوق علشان حاجة تانية خالص..
- أمال مخلوق ليه , علشان يقطع فى خلق الله.
- لا مخلوق علشـان يعرفه ويعبده.. «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون».
- طيب وانت عرفت الله وعبدته يا عبد الله.. !
- لا.. لكـن النهـاردة عرفته.. عرفته لمـا عجزت إنى ألمس الـروح أو أنقلهـا.. عرفتـه لما شـفت قدرته علـى الحياة والموت.. عرفته لما شـفت كلمته كما تديـن تدان.. عرفته لمـا لقيت كل الطرق موصلة ليه.. النجاح والفشـل.. الغنى والفقـر.. الحياة والموت.. فى الآخر كله موصل ليه هو.. هو

بس... النهارده عرفته ومن النهارده هعبده..

- يا خسارة يا عبد الله كلامك حلو لكن أنا مضطر أنفذ القانون.. يتم حبس المتهم أربعة أيام احتياطيًا على ذمة التحقيق ويراعى التجديد له فى الميعاد..
- بس أرجوك انا لي طلب و حد عندك..
- عارف يا عبد الله... زنزانة انفرادى يا مغاورى.

من أعمال المؤلف

- العالم الذى لن يكون (رواية).
- كرامات الخطاب، للفاروق عمر بن الخطاب.
- طلعة الشمس.
- أنشودة الإنسان الكامل (شعر).
- الساجد تحت العرش.
- زمن الإحراج (مجموعة قصص قصيرة) – تحت الطبع.

للتواصل مع القراء

البريد الإلكتروني

Abonorelden 3000 @ yahoo.com

Abonooreldin @ hotm Ail. COM

ت/ ٠١٠٢٦٤٨٤١٧٦

رقم الإيداع	٢٠١٢ / ٢١٥٦٩
الترقيم الدولى	ISBN 978-977-02-7687-7

٢ / ٢٠١٢ / ١٧١

طبع بمطابع دار المعارف